47929



سلسلة رواد التنوير

محمود سامى البارودى
رب السيف والقلم

د. عبد المنعم ابراهيم الجميعى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

رئيس مجلس الإدارة
السفير إسماعيل خيرت

الإشراف العام
إيمان الروبى

الإشراف التنفيذي
د. إسماعيل عبد الفتاح

إشراف فنى وتجهيز
فؤاد عبد الرحيم

إخراج
أحمد سيد أحمد

تصميم الغلاف
شيرين الخزامى

الفهرس

مقدمة

محمود سامى البارودى شخصية ذات وضع فريد فى تكوينها فقد استطاع أن يربط فى حياته بين دورين مختلفين دور الزعيم السياسى الذى أحب بلاده ووقف بجانبها فى أوقات المحن والشدائد، ودور الشاعر الرائد البليغ الذى اعترف له الشعراء بالرئاسة والذى قدر له ان يواكب حركة التطور والبعث فى الشعر العربى الحديث، فارتبط اسمه بالثورة العرابية وأحداثها، كما ارتبط بحمل لواء التجديد فى الشعر فكان أول شاعر فى العصر الحديث تتجلى نوازع الحب الحقيقية لوطنه فى شعره وفى نفس الوقت يطرق الشعر السياسى فينادى بالوقوف فى وجه الظلم والاستبداد والنفوذ الأجنبى فكل قصيدة من أشعاره عبرت عن صورة لحالة نفسية من حالات هذا الشاعر الملهم، وصورة للعصر الذى عاش فيه وللبيئة التى أحاطت به، وللنهضة المتوثبة فى الحياة حوله، وللثورة التى انبثقت من هذه النهضة ، وللنكسة التى اصابت النهضة والثورة معا بالاحتلال الانجليزى لمصر عام ١٨٨٢، والقبض على زعماء الثورة ونفيهم والتى أدت إلى ابتعاد البارودى عن وطنه، والإقامة بمنفاه فى سيلان سبعة عشر عاما وبضعة شهور وهناك كتب البارودى أروع أشعاره التى بعثت فى الشعر العربى بعثا جديدا، وكانت صورة صادقة لهذه الحياة التى أرادها له القدر، والتى صنعتها الأيام ليقدم البارودى على مذبح الوطنية فداء من عمره واغترابه وتضحية من ماله وأهله ونور عينيه الذى فقدهما خلال فترة نفيه، وعلى الرغم من ذلك فقد تدخلت الأهواء والافتراءات فى تسجيل تاريخه لتقلل من مواقفه الوطنية وما قدمه من تضحيات من أجل مصر، وهذه

الدراسة تثبت بالوقائع حقيقة الأمر، وتبين وطنية البارودى وموقفه من الاستبداد والفساد وتدفع عنه تبعات التجنى التى ألقاها عليه البعض لتشويه صورته وموقفه وموهبته الشعرية على الرغم من أنه رد إلى الشعر العربى أساليبه التى تعتمد على جمال الصياغة ورقة الأسلوب وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة تناولت نشأته وحياته، ودوره كشاعر ومناضل سياسى ووطنى، ومحاكمته ونفيه إلى سيلان وحياته فى المنفى، ثم عودته إلى مصر بعد صدور العفو الخديوى عنه فى سبتمبر من عام ١٩٠٠، كما شملت ملاحق الدراسة نماذج من خط البارودى وفنه الكتابى.

وبعد فإننا نأمل أن تكون هذه الدراسة قد حققت الغرض منها وهو المساهمة فى إبراز مواقف وتضحيات أحد رجالات الحركة الوطنية المصرية وهو محمود سامى البارودى.

والله ولى التوفيــق،،،،

الفصل الأول
النشأة والتكوين

ولد محمود سامى بالقاهرة فى السادس من أكتوبر ١٨٣٩ من أسرة جركسية تجرى فى عروقها دماء الأمراء، فوالده "حسن حسنى بك" كان من أمراء المدفعية ثم عينه محمد على مديرا لبربر ودنقلة بالسودان أما والدته "فاطمة هانم البارودية" فكانت من ذوى الجاه واليسار فوالدها "على أغا البارودى" أحد كبار المماليك الذين قتلهم محمد على فى مذبحة القلعة ١٨١١م وبالنسبة للقب البارودى الذى ألصق به فيرجع إلى بلدة إيتاى البارودى إحدى مناطق مديرية البحيرة، ذلك ان أحد أجداده الأمير "مراد البارودى" عمل ملتزما بها وكان كل ملتزم ينسب فى ذلك الوقت إلى مكان التزامه، لذلك ظل هذا الاسم علما عليه وعلى أسرته، وظل البارودى شديد الاعتداد بهذا النسب. وقد حرم شاعرنا من العطف الأبوى منذ نعومة أظفاره حيث مات أبوه بدنقلة وهو فى السابعة من عمره فعاش يتيما وكفله بعض أهله. وبعد أن تلقى علومه الأولية التحق بالمدرسة الحربية مثل أمثاله من ابناء الطبقة الحاكمة، حيث كانت الجندية مظهرا من مظاهر السيادة والعزة فى الوقت الذى جعل فيه محمد على الجيش قوام دولته، ومصدر قوته، ولكن عندما تخرج البارودى من هذه المدرسة كانت الأمور قد تغيرت حيث أهمل خلفاء محمد على أمثال عباس الأول وسعيد أمور الجيش وقاما بتسريح معظم أفراده، وكان منهم البارودى، وبدأ يخيم على مصر جو من الركود فى الوقت الذى كانت لدى البارودى آمال كبار

وتطلع نحو المستقبل. فتحركت نفسه لقول الشعر، وفى ذلك يقول "ان موهبة الشعر لازمتنى منذ نعومه أظفارى ولم تفارقنى إلا فى أقل لحظات حياتى" فرجع إلى دواوينه يقرأ الشعر العربى القديم بما فيه من حماسة وأمجاد، فقرأ لأمرئ القيس، وأبى فراس، وابن المعتز، والشريف الرضى وغيرهم ووجد فى شعرهم روعه وجمالا حيث تناولوا الحياة كلها بما فيها من جد وهزل ووصف وغزل وبطولات وأمجاد فانفسحت أمامه الحياة بحلوها ومرها. وبدأ ينظم الشعر فوجد فيه صورة نفسه وما تصبو إليه من آمال، واهتدى بفطرة الشاعر الفارس إلى شعر الفرسان يقرؤه، ويعيش معه فيما يقرأ فاستهواه هذا الشعر واندفع ينهل منه بعد أن أحس ان ثورة الشباب تهزه هزا عنيفا، وتذكره بالأعلام المصرية التى كانت ترفرف على بلاد العرب وسورية أثناء حكم محمد على، ولما رأى ضرورة الاستزادة من الشعر سافر إلى الآستانة عاصمة الدولة العثمانية يبحث فى مكتباتها عن كنوز الثقافة العربية التى اغتصبها الاتراك من مصر عندما استولوا عليها عام ١٥١٧ وهناك التحق بوزارة الخارجية، وتعلم اللغتين التركية والفارسية درس آدابهما وتغنى بأوزان شعرهما، ولم تسنح له فرصة لتعلم لغة إلا واغتنمها، ولما كانت اللغة العربية أصيلة فى نفسه أخذ يقرأ دواوين الشعراء الأمويين والعباسيين ويدرسها طوال السنين التى أقامها على ضفاف البسفور. وبعد أن تولى اسماعيل باشا حكم مصر عام ١٨٦٣ ذهب إلى الآستانة ليؤدى يمين الولاء للسلطان العثمانى وهناك قابله محمود سامى البارودى ، وتوسم اسماعيل فيه النجابة والطموح، وعاد به إلى مصر، وضمه إلى معيته وكان وقتذاك فى الرابعة والعشرين من عمره

ليبدأ صفحة جديدة من حياته خاصة وان اسماعيل عقد العزم على أن يعيد إلى مصر قوتها التى أسسها جده محمد على، بأن يكون لها جيشها القوى وتعود لنهضتها العلمية، وأن تنقل كل ما فى أوروبا من أسباب الحضارة فالتحق البارودى بالجيش، وتمت ترقيته ، وأوكلت إليه قيادة فرقتين من الفرسان، كما تم إيفاده فى بعثة عسكرية إلى فرنسا مع مجموعة من الضباط لمشاهدة التدريبات العسكرية هناك مما فتح آفاقا جديدة فى حياته، جعلته يزداد علما ومعرفة. وبعد عودته إلى مصر وجد الحظ مفتوح الذراعين أمامه فتمت ترقيته عدة مرات حتى تسلم قيادة الفيلق الرابع من عسكر الحرس الخاص بالخديوى. وعندما طلبت الدولة العثمانية من الخديوى اسماعيل إرسال حملة إلى جزيرة كريت لمساندتها فى إخماد الثوار هناك، استجاب اسماعيل لطلب السلطان، وأرسل مجموعة من قواته إلى هناك كان البارودى أحد قوادها الذين شاركوا فى هذه الحرب، وأبلوا بلاء حسنا ، مما جعل السلطان يُنْعِم عليه بالوسام العثمانى من الدرجة الرابعة.

وخلال ذلك قال شعرا مطلعه:

أخذ الكرى بمعـــاقد الأجفـــان

وهفـــــا الســـرى بأعنة الفرســـان

كما قال أبياتا استهلها بقوله

ولما تداعى القوم واشتبك القنا

ودارت كما تهوى على قطبها الحرب

ومنذ ذلك الوقت بدأت الأنظار تتطلع إلى البارودى الشاعر بإعجاب واعتزاز حيث ترنم بأنغام من الشعر لم يسمعها أهل زمانه. وربما يتساءل البعض عن الباعث الذى دفع البارودى إلى حب الشعر ؟ الحقيقة ذكرها البارودى فى أحد أبيات شعره التى أكدت موهبته منذ صباه، فذكر أنه أحب الشعر بالوراثة عن خاله حيث قال:

أنا فى الشعر عريـــق   لم أرثه عن كلاله

كان إبراهيــم خــالى   فيه مشهور المقالة

وربما يكون الباعث له أيضا تشجيعا من استاذ أو قصيدة حفظها واستطاب إنشادها أو مناسبة موفقه سمع فيها من شجعه وأثنى على ذوقه ، علما بأن الولع بالشعر لم يكن غريبا عن طالب المدرسة الحربية فى ذلك الزمن، فيذكر الأستاذ عباس محمود العقاد أن الفروسية كانت قرينة الشعر فقد كان اسم عنتره وأبى فراس من أشهر الأسماء بين الفرسان الشعراء، يضاف إلى ذلك ان الرومانسية لدى الشاعر العربى ايا كان هى مطبوعة فيه لا موروثه وأنها مستقرة فى جبينه وأنه جبل عليها من نشأته. [١]

وإلى جانب ذلك فقد شارك البارودى فى حروب البلقان عام ١٨٧٨ عندما أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية وأرسل الخديوى اسماعيل جيشا لمعاونة السلطان، وسافر البارودى مع الجيش، واشترك فى الحرب، وكوفئ على مواقفه خلالها بانعام الخليفة عليه برتبه "أمير اللواء" و"بنيشان الشرف" و "الوسام المجيدى من الدرجة الثالثة" ومع ذلك فان ميادين القتال لم تصرفه عن قول الشعر بل بعث منها إلى مصر عيون

---

(١) للتفاصيل أنظر: عباس العقاد: شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى.

شعره مضيفا إليها حنينه إلى الوطن، فأخذت قصائده تتناقل فى الأوساط الأدبية، وتثير إعجاب مستمعيها حيث عرفوا فيها الأصالة والتجديد وبعد إنتهاء حروب البلقان عاد البارودى إلى مصر وكان قد أدرك الأربعين من عمره، وبلغ من الرتب العسكرية ارقاها فعين مديرا للشرقية، فمحافظا للقاهرة. وبعد عزل الخديوى اسماعيل وتولية ابنه توفيق حكم مصر وما صاحبه من ازدياد التدخل الأجنبى فى شئون البلاد انضم البارودى إلى الحركة الوطنية برئاسة عرابى بعد ان أحس أن عليه واجبا تجاه وطنه فى مقاومة التدخل الأجنبى.

وبعد ان ثار العسكريون ضد عثمان رفقى وزير الحربية فى أول فبراير ١٨٨١ وتم عزله، أسند الخديو توفيق هذه الوزارة إلى البارودى مع ديوان الأوقاف، ورغم ذلك فإن إذعان الخديوى للتدخل الأجنبى، جعل البارودى يقف بجانب العرابيين حفاظا على أمن البلاد واستقرارها. ونتيجة لأحداث مظاهرة عابدين وما أعقبها من تطورات أدت إلى عزل رياض باشا من رئاسة الوزارة وتولية شريف ثم استقالة شريف نتيجة لخلافه مع العرابيين، قام البارودى بتأليف الوزارة فى الرابع من فبراير ١٨٨٢ ولكن التدخل الأجنبى والمذكرة المشتركة التى قدمتها انجلترا وفرنسا إلى الخديوى أدت إلى قيام البارودى بتقديم استقالته فى ٢٧ مايو ١٨٨٢ احتجاجا على التدخل السافر لبريطانيا وفرنسا فى شئون مصر وانتهى الأمر بتدخل انجلترا عسكريا والقضاء على الثورة العرابية ونفى البارودى مع بعض قادة الثورة إلى سيلان حيث أقام بها سبعة عشر عاما وبضعة شهور تعلم فى أثنائها اللغة الانجليزية وبرع فيها قراءة وكتابة وترجم منها

عدة مواضيع إلى العربية، ومن هناك كتب أروع أشعاره التى بث فيها الحنين إلى الوطن والشكوى من الغربة وانخراطه فى الأسى والألم مستسلما لقضاء الله وقدره، وإلى جانب ذلك فقد قام بتدريس اللغة العربية وعلوم الدين لأهالى جزيرة سيلان.

وطالت فترة النفى، وتقدمت السن بالبارودى وتخطف الموت أثناء ذلك ابنته وزوجته، وبدأ يضعف بصره وتضمحل صحته، فالتمس من الخديوى عباس الثانى عودته إلى وطنه، وقد وافق الخديوى على طلبه وأصدر أمرا فى سبتمبر ١٩٠٠ بعودته فعاد يحمل معه ديوان شعره الخالد وقضى فى مصر اربع سنوات ذهب فيها ما بقى من بصره، وفى نهاية ديسمبر ١٩٠٤ انتقل إلى رحاب ربه وهو فى الرابعة والستين من عمره تاركا تراثه الشعرى والنضالى للأجيال من بعده.

الفصل الثانى
البارودى شاعرا

للبارودى شخصيتان شخصية أدبية، وشخصية سياسية أما شخصيته الأدبية فهى خالدة فقد شغف البارودى فى مطلع شبابه بقراءة شعر الأقدمين خاصة شعر الفرسان الذين كانوا يذكرونه بذكرى أجداده الذين حازوا المجد خلال حروبهم ضد الصليبيين والتتار، ونشروا أعلام مصر فى ربوع الشام وجزر البحر المتوسط، فاندفع يختزن فى مخيلته وذاكرته كل ما استهواه من أشعار الحماسة والبطولة ، كما تعلق بالشعر عن هوى فاتقن أوزانه ونغماته بموسيقية تظهر فى صياغته كما تظهر فى اختياره وكلما أقبل على القراءة تزداد ملكة الشعر منه قربا، وتملأ عليه وجدانه حتى صاغ منه أجمل الألفاظ وأروع العبارات، وترنم بأنغام فى الشعر لم يألفها اهل زمانه من الشعراء الذين عاشوا أزمة ضعف الشعر العربى وانحلاله منذ أن احتل العثمانيون مصر ، واعتبروا الشعر تجارة وارتزاقا مما تسبب فى ركود وتدهور الأدب العربى سواء فى الأغراض أو المعانى والأساليب، فكان أبرز معاصريه "محمود فهمى الساعاتى" الذى لا يقول الشعر إلا للتكسب المادى او لاسترضاء الحكام والولاة رغبة فى العطاء والإحسان، وكانت المُحَسَّناتُ البديعية عندهم كل شئ كما كانتَ الأغراض ضيقة لا تخرج فى جملتها عن المدح أو القول فى المناسبات، وكانت المعانى مبتذلة ساقطة أما الأساليب فكانت تقليدا عن السابقين لكن البارودى استطاع بموهبته ان يقفز قفزة يسمو بها إلى مكان فحول الشعراء الأقدمين

حيث سما بأغراض الشعر، وصاغه فى أجمل لفظ وأروع عبارة، فلم يقله التماسا لنيل عطاء أو التماس عطف من حاكم وإنما تغنى به ليطرب سامعيه مما آثار عجب الناس، وحق لهم ان يعجبوا من هذا الشاعر الملهم الذى نفخ فى الشعر العربى روحا حديثه تمثلت فى نزوعه إلى تصوير الواقع ببساطة وسلاسة وقوة دون اعتماد على المُحَسَّناتُ البديعية ودون إغراق فى الخيال ومهدت السبيل من بعده لمن تابع طريقه أمثال "احمد شوقى" و "حافظ ابراهيم"و "اسماعيل صبرى" وغيرهم.

لقد تغنى البارودى كشاعر مطبوع غير متكلف لاحساسه ان موهبته الشعرية تفرض عليه التعبير عن العواطف والإحساس التى تمتلأ به نفسه فجاء بأنغام من الشعر لم يألفها أهل زمانه، ونفخ فيه روحا دفعت به إلى الصدارة وسمت به إلى مكان كبار الشعراء الأولين، فتغنى بمصر وتأمل أمجادها، وحسن ضيافتها لأجداده عندما جاءوها مهاجرين ورفعتهم إلى مكان السيادة مما جعلهم يقدمون أنفسهم فداء لها ثم جاء من بعدهم فرأى نور الحياة بين أهلها، وعرف الدنيا فى جنباتها، حيث وجد نفسه لصيقا بها يرتبط بأرضها وبأهلها ارتباط مصير، ويختلط حبها بلحمه ودمه، وعواطفه وشعوره، وعاش حياته يهتف بها وبكرم أهلها **مثل قوله:**

سل مصر عنى إن جهلت مكانتى ... تخبرك عن شـــرف وعز أقـــدم

بلد نشـــأت مع النبـــات بأرضها ... ولثمت ثـــغر غديرها المتبـــسم

فنسيمـــها روحى ومعـــدن تربها ... جسمى وكوثر نيلـــها محيا دمى

فإذا نطقت فبالثناء على الذى

أولتـــه من فضـــل على وأنعم

أهلى بها واحبتى وكفى بهم

فخرا ملكـــت به عنـــان الأنجم

هى جنة الحسن التى زهراتها

حور المهـــا وهزار أيكتها فمى[١]

وإلى جانب ذلك فقد تحدث البارودى عن الحب وما يفعله فى المحبين والأحاسيس التى تخامرهم وأفرد للجمال صورا ممتعة فى أشعاره حيث التقت معانيه مع عواطفه، بعد أن أحب حبا أخذ بمجامع قلبه ، واختلطت أحاسيه فى نفسه حتى مرض فتضرع إلى محبوبته ان يلقاها حتى لا يتحكم فيه المرض ، فأنشد شعرا قال فيه:

عليل أنت مسقمـــــه فما لك لا تكلمـــــه

سرى فيه الضنى حتى بدت للعين أعظمه

فلا إن باح تعـــــذره ولا إن نـــاح ترحمه

ودمعى أنت مرسلـــــه وقلبى انت مؤلمـــه

ولا والله مالى فى الـــ هـــوى ذنـــب فأعلمه

وروعة الغزل عند البارودى أنه صادر عن قلب يحب، فإذا نعم به سأل نغما يتدفق سلاسة وجمالا، وإذا عذبه صاغ الألم فى عواطف لاذعة يمازجها حس دقيق، يصور ذلك كله فى سهولة ويسر، لأنه يصور واقعا يعيشه ينفذ إلى أعماقه ويتجاوب مع مشاعره.

---

(١) الهزار ، طائر مغرد .

ويجهر البارودى بحبه ، فيقول :

يلومون أشواقى كـــأنى ابتدعتهـــا

ولو علموا لاموا الظباء الجواريا

ومالى ذنب عندهـــــم غير أننـــى

شدوت فعلمـــت الحمـــام الأغانيا

وهل يكتم المرء الهوى وهو شاعر

ويثنـــى على أعقـــابهن القوافيا؟

والبارودى فى حبه كان راقيا عفيفا، وكان يتيه بعفته فى حبه، ويراها مكانا لفخره، فيعلن رأيه فى اللهو والحب صريحا فى قوله:

وهل فى الصبا واللهو عار على الفتى

إذا العرض لم يدنس بأثم ولا بغو

وإلى جانب ذلك الحب فقد كان البارودى مغرما بالطبيعة فوصف سحر طبيعة مصر، سماؤها ونيلها وربيعها وخريفها ونخيلها وأعنابها، كما وصف طبيعة البلقان وكريت فى قصائد منفصلة خلال حديثه عن الحنين لمصر التى كان يتذكرها دائما فى غربته وله قصائد عديدة فى وصف الطبيعة نذكر منها:

سواى بتحنان الأغاريد يطرب

وغيرى باللذات واللهو يلعب

أما عن شعر الفرسان الذى عشقه البارودى فقد تحدث عنه موضحا شأن الفرسان الذين يضحون بأنفسهم حيث تقوم الحرب ، وتخرج السيوف

من أغمادها، وأنه عندما يحفظ أبياتا تقال عن النخوة والتحدى تهتز نفسه إلى النظم على وتيرتها.

ويتحدث البارودى ايضا عن المثال الرفيع للفارس العربى أيام حروب الصليبين والتتار، ويعيد إلى واقعنا صورته بجميع خطوطها وألوانها، فتعكس السمو فى شخصيته، والنور الذى يضئ جوانبها.

وإلى جانب ذلك فقد حكى البارودى شعر البداوة وأفرط فى المحاكـــاة حتى ذكر الأطلال والرعيان والقبائل فقال قصائد شتى فى هـــذا المجـــال نذكر منها: (١)

غدت وهى مرعى للظباء وطالما

غنت وهى مأوى للحسان العقائل

فللعين منهـــا بعد تزيـــال أهلهـــا

معارف أطـــلال كوحى الرسائل

فأسبلت العينــــــان منها بواكـــف

من الدمع يجرى بعـــد سح بوابل

ديار التى هاجـــت على صبـــابتى

وأغرب بقلبى لا عجـــات البلابل

من الهيف مقلاق الوشاحين غادة

سليمة مجرى الدمع ريا الحلاخل

إذا ما دنـــت فوق الفراش لو سنة

جفا خصرها عن ردفها المتخاذل

(١) للمزيد انظر: ديوان البارودى.

تعلقتـــها فى الحـــى إذ هى طفـــلة

وإذا أنا مجـــلوب إلى وســـائلى

فلما استقر الحب فى القلب وانجلت

غيابتـــه هاجـــت على عـــواذلى

فيـــاليـــت أن العهـــد بـــاق وأننـــا

دوارج فى غفل من العيش خامل

تمــــر بنـــا رعيـــان كـــل قبيـــلة

فمـــا منحـــونا غير نظرة غافل

صغيرين لم يذهـــب بنا الظن مذهبا

بعيـــدا ولم يسمـــع لنـــا بطوائل

نسيـــر إذا ما القـــوم ساروا غديـــة

إلى كـــل بهـــم راتعـــات وحامل

وإن نحـــن عدنا بالعشـــى أفاضنـــا

إليـــه سديـــل من نقـــا متقـــابـــل

وتستمر القصيدة على هذا النسج المحكم والإجادة البالغة فى معارضة الأقدمين، إلا قليلا من الهفوات التى قد تدل على تقليد بعضهم والنقل عنهم.

ومن المعروف أن البارودى كان جنديا شجاعا عاملا، قد شهد الحروب وأبلى فيها البلاء الحسن أكثر من مرة، وكان إلى جانب شجاعته معروفا بالدهاء والحيطة، وكان على العهد فى رجال الحرب مستخفا بالحياة فى ميدان القتال محبا للحياة أيام السلم، مفرطا فى حبها والمتعة بها كأنما يعوض أيام المخاطرة والمغامرة بأيام الراحة والنعمة.

وهذه طبيعة بالجندى المفطور على الجندية، والشجاع المفعم بالنوازع الفتية، ومن أهمها الأخذ بالقرب الحاضر والبعد عن الإطالة والتعمق والاستقصاء، فليس من المطلوب من صاحبها ان يتغلغل فى التفكير إلى الدقائق والخفايا وأن يتوسع فى الخيال والفلسفة، وإنما اللازم له ان يكون عند دعوة الإقدام والفخار والقوة، وعند دعوة المرح والغرام والفتوة. وهكذا كان البارودى فى الحرب كان قد ذكر فى احدى قصائده:

وأصبحت فى أرض يحار بها القطا[1]

وترهبها الجنان وهى سوارح

بعيدة أقطار الديـاميم لو عدا

سليك بها شأوا قضى وهو رازح

تصيح بها الأصداء فى غسق الدجى

صياح الثكالى هيجتها النوائج

تردت بسمور الغمام جبالها

وماجت بتيار السيول البطائح

فأنجادها للكاسرات معاقل

وأغوارها للعاسلات مسارح

وكذلك كانت أشعار البارودى ترجمانا لكل خالجة من خوالج نفسه الشاعرة، وأثرا من آثار تلك الحياة الباطنة والظاهرة، فليس الذى فى شعره شجاعة البارودى ومرحه وحسب. بل فيه التفوق البارز فى شعره الذى ارتقى فى التعبير عما يكتبه .

---

(١) نوع من الطيور يتعرف على موارد المياه من بعد ويهدى إليها السائرين.

قال البارودى فى مقدمة ديوانه: " إن الشعر لمعة[١] خيالية يتألق وميضها فى سماوه[٢] الفكر فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب فيفيض بلألائها نورا يتصل خيطه بأسلة اللسان، فينفث بألوان من الحكمة ينبلج بها الحالك ويهتدى بدليلها السالك. وخير الكلام ما ائتلفت ألفاظه وائتلفت معانيه، وكان قريب المأخذ بعيد المرمى سليما من وصمة التكلف بريئا من عشوة التعسف، غنيا من مراجعة الفكرة فهذه صفة الشعر الجيد فمن آتاه الله منه حظا وكان كريم الشمائل طاهر النفس فقد ملك أعنة[٣] القلوب. ونال مودة النفوس وصار بين قومه كالغرة[٤] فى الجواد الأدهم[٥] والبدر فى الظلام الأيهم[٦]، ولو لم يكن من حسنات الشعر الحكيم إلا تهذيب النفوس وتدريب الأفهام وتنبيه الخواطر إلى مكارم الأخلاق، لكان قد بلغ الغاية التى ليس وراءها مسرح وارتبأ الصهوة التى ليس دونها لذى همة مطمح. ومن عجائبه تنافس الناس فيه وتغاير الطباع عليه، وصغو الأسماع إليه، كأنما هو مخلوق من كل نفس أو مطبوع فى كل قلب فأنك ترى الأمم على اختلاف ألسنتهم وتباين أخلاقهم وتعدد مشاربهم، لهجين به عاكفين عليه لا يخلو منه جيل دون جيل، ولا يختص به قبيل دون قبيل. ولا غرو فإنه معرض الصفات ومتجر الكمالات..." وللشعر رتبة لا يجهلها إلا من جفا[٧] طبعه، وتبا عن قبول الحكمة سمعه.

---

(١) لمعة : بريق ولمعان.
(٢) سماوه: سماء
(٣) الأعنة: سير اللجام الذى تمسك به الحصان.
(٤) الغرة: بياض مستحسن فى جبهة الفرس، والمراد أنه صار مشهوراً.
(٥) الأدهم: الأسود.
(٦) الأيهم: الصعب الشديد الحالك الذى لا يهتدى إليه أحد.
(٧) جفا: غلظ وخشن.

ومعنى ذلك أن الشعر عند البارودى لا يغره جمال اللفظ، ولا يغريه عن الاهتمام بالمعنى خاصة وانه وسيلة الحث على مكارم الأخلاق وأداة القوة والغلبة لقائله وخلود الذكر بعد موته، وتلك طريقة فى وصف الحقائق النفسية اتبعها الشعراء القدامى من قبله.

وقد أكد ذلك بقوله:

إن أشعــر بيت انــت قائلــه
بيــت يقال إذا أنشــدته صــدقا

للشعر فى الدهر حكم لا يغيره
ما بالحــوادث من نقض وتغيير

يسمو بقــوم ويهوى آخرون به
كالدهر يجرى بميسور ومعسور

فالشعر قد يخلد وقد يوحى بوحى المكارم وغيرها من تعبيرات الجمال.

والبارودى جرى فى ذلك على قول أبى تمام حين قال:

ولم أر كالمعروف تدعى حقوقه مغارم فى الأقوام وهى معــانم
ولا كالعلا ما لم ير الشعر بينها فكالأرض غفلا ليس فيها معالم
ولولا خلال سنها الشعر مادرى بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

وتلك طريقة القدماء عامة فى تعظيم قدر الشعر والإشادة بفضله على قائله والمقول فيه:

وإنما الشعر لب المرء(١) يعرضه
على المجالس إن كيسا وإن حمــقا

وربما كانت محاكاة البارودى للأقدمين كما يذكر الأستاذ العقاد هى أنفع ما فى شعره للأدب المصرى الحديث، لأنه رد إلى المعاصرين يقين القدرة

---

(١) لب المرء: عقله والمراد أن الشعر يدل على عقل الشاعر ووجدانه وثقافته وتجاربه وذوقه.

على مجاراة العباسيين والمخضرمين والجاهليين فى ميدان اللغة والتركيب بما أتقن من معارضتهم فى المذاهب والأساليب، وليس أدعى عن هذه الثقة إلى الابتكار والاستقلال والاعتماد على النفس والبعد عن قيود التقليد، فإذا حسبنا للبارودى سليقته المستقلة "وشخصيته" المعبرة، ونزعته إلى الاعتراف بحق العصر على الشاعر، فلا ننسى أن نحسب له جودة التقليد ما استتبعه من حسن الثقة وعزيمة النهضة.

وللبارودى بعد هذه الآية آية أخرى: هى أن الفضل الذى له على عصره أكبر من الفضل الذى لعصره عليه . فما جاء من عند نفسه كثير لا يقاس إليه ما يجئ من قدرة معاصريه، وذلك وحده خليق أن يبوئه زعامة جيله ويقدمه إلى طليعة معاصريه وتابعيه.

وهكذا قارن العقاد بين شعر القدماء والمحدثين موضحا دور البارودى فى محاكاة الأقدمين تارة وفى الاعتماد على النفس ومواكبة روح العصر.

لقد ساعدت البيئة المصرية الجانب التصويرى من أشعار البارودى فتحدث عن النهضة التى حدثت فى مصر خلال عصر اسماعيل بعد فترة الجمود التى تعرضت لها فى عهد سلفيه عباس الأول وسعيد متمنيا ان تساير مصر مراحل نهضتها، وان تكون القاهرة باريس الشرق، وقد أخذت قصائده تتناقل فى الأوساط الأدبية، فرأى فيها الشعراء شيئا غير ما عرفوه فى عصرهم ووجدوا فيها بعثا جديدا للماضى المجيد الذى ظنوه ذهب ولن يعود، وعرفوا فى شعره الأصالة التى أصبحت حديث الأدباء فى مجالهم ، ورواية الشعراء فى مجامعهم وهم لا يكادون يصدقون ان هذا شعر ينشده شاعر يعيش بينهم ، ويبعث الشعر العربى بعثا جديدا، وقد أكد البارودى ذلك فى أشعاره بقوله:

أحييت أنفاس القريض بمنطــقى

وصرعت فرسان العجاج بلهذمى

وفجرت ينبوع البيــان بمنطــق

عذب رويــت به غليــل الحوم[1]

نشأت بطبــعى للقريــض بدائع

ليســت بنحلة[2] شاعــر متقــدم

يصبو بها الحكمى صبوة عاشق

وتخف من طرب عريكة مسلم [3]

قومته بعــد اعوجـــاج قنـــاته

والرمـــح ليــس يروق غير مقوم

شعر جمعت به ضروب محاسن

لم تجــتمع قبــلى لحــى ملهـــم

أما عن شعر الحنين إلى الوطن عند البارودى فقد ظهر عندما شارك فى حرب كريت والبلقان وازداد هذا الحنين خلال فترة نفيه فى سيلان حيث قضى هناك فترة ليست بالقصيرة وكانت ربة الشعر نعم العزاء حيث مدت إليه قيثارتها، فصور الوطن أروع صورة انخرط خلالها فى الأسى وفى الألم وتتداعى الذكريات، فيخرجها صورا من شعره ، ومزيجا من عواطفه فقد كان مغيبه عن مصر بغير اختيار منه سواء أثناء المعارك

---

(١) الحوم : العطشى.

(٢) النحلة: الدعوى.

(٣) الحكمى. أبو نواس، الحسن بن هانى بن عبد الله بن صباح (٧٦٢- ٨١٣) =
ومسلم : مسلم بن الوليد الأنصارى (صريع الغوانى) شاعر عباسى (٧٤٧-٨٢٣م).

التى خاضها فى كريت والبلقان أو إبان النفى فقال فى حرب كريت التى دارت رحاها بين الدولة العثمانية وثوار الجزيرة المتمردين وقد بعث الخديوي اسماعيل بنجدة عسكرية كان البارودى من ضباطها .

سرى البرق مصريا فأرقنى وحدى

وأذكرنى ما لست انساه من عهد

يضاف إلى ذلك فإننا نلاحظ فى شعره الغرام بمصر وحبه لمعاهد الصبا ومواطن الذكريات فيها ظهر مبكرا فى شعره ، ولم يكن وليد محنة الحروب التى خاضها خارج مصر، ولا وليد محنة النفى وحدها. وقد عبر عنه فى جميع تلك الأحوال. ومن ذلك قصيدته الرائعة التى مطلعها:

ترحل من وادى الأراكة بالوجد	فبــات سقيما لا يعيد ولا يبدى
سقيما تظل العائدات حوانيـــا	عليه بإشفاق وإن كان لا يجدى

وفيها بعد شكوى الوحدة والغربة وصف الليل وطوله، ووصف للسيف ومناجاته، وهيام بمعاهد الصبا فى الروضة، وفخر بشجاعته وفدائيته وشعره وتذكر لهوى نفسه فى الصبا. والواقع أن كل تلك الأغراض تضرب فى أعماق الرومانسية والتى نعرض منها لبعض أبيات من مناجاته السيف إذ يقول:

ولا صاحب غير الحسام منوطــة	حمــائله منى على عاتـــق صــلد
إذا حركته راحتــى لملمـــــــة	تطلع نحــوى يشــرئب من الغمــد
أشد مضاء من فؤادى على العـــدا	وأبطأ فى نصرى على الشوق من فند
أقول له والجفن يكسو نجـــــاده	دموعا كمــرفض الجمــان مــن العقد

لقد كنت لى عونا على الدهر مـرة فمـا لى أراك اليوم منثلم الحد؟

فقال: إذا لم تستطع سورة الهـوى وأنـت جليد القوم، ما أنا بالجلد

وهل أنـا إلا شقـة من حديـدة ألـح عليها القين بالطرق والحد؟

فما كنـت لولا أننى واهن القـوى أعـلق فى خيط، وأحبس فى جلد

فدونك غيـرى، فاستعنـه على الجوى ودعنى من الشكوى،فداء الهوى يعدى

إنها إذن وحدة الفارس المقدام الذى حكم عليه بمغادرة الميدان فقعد محسورا لا أنيس له إلا السيف الذى جمعته به المعارك الخالية، فإذا به يناجيه. وإنما يثنى الشاعر على نفسه ضمنا لأنه لا يحمل مثل هذا الصمصام إلا جندى قوى ذو عاتق صلد . والسيف خير مؤنس لشاعرنا، فهو يستشعر حركة يده، فيتطلع نحوه مطلا من غمده، وهل ثمة أقصد من هذا التعبير وأدل على علاقة الود بينهما؟ أفنضع هذا الشعر التشخيصى الجميل فى مصاف الشعر التقليدى ونكون قانعين راضين؟ ولفرط إحساسه بالسيف فإنه يفضله على فؤاده، إذ يسبقه فى الذود عنه ضد الأعداء، ولكنه يخذله أمام الشوق، فالشوق إذن أعتى عدو يستعصى على الحسام الذى يبدو ثقيلا مثل الجبل فى حال الهوى. ولنلاحظ هنا التضاد بين موقف العشق وموقف الحرب، وهما لا يجتمعان على هذا النحو الفريد إلا فى شعر البارودى. وهذا التميز الفارق عادة ما يتم التغاضى عنه لدى تصنيف شعر البارودى. إذ يوضع فى قائمة الشعر التقليدى وكفى! وهذا بخس لقيمته عظيم. ولا يكتفى شاعرنا بكل هذا بل يشرع فى الحوار مع السيف حوارا فريدا فى شعرنا العربى ، والدموع تتاسب من عينيه (عينى السيف)

مثل الجمان أى اللآلئ الفضية. إن السيف إذن ليبكى، وإن دموعه مثل الجمان المتطاير حين ينفرط عقده ، فهى تنساب من جفن السيف مما يمعن فى تفصيل الخيال ، لزيادة فى توضيح المعنى. فالشاعر يسلك سبيل الخيال للتعبير عن وجدانه الذى هو فى الواقع فكر حى مائج بالحركة. [١] ويتبع شاعرنا آيات الإبداع هذه برد السيف الذى يعد نموذجا يحتذيه الرومانسيون فى كل عصر مصداقا لقول البارودى عن شعره:

ولا تعجبن من منطقى إن تأرجت

به كل أرض فهو ريحانة العصر

وعلى عهد البارودى خلال عصر اسماعيل وتوفيق كان بالقاهرة صالونات للأدباء، ومجالس للفقهاء، ومجتمعات للظرفاء أو المفتين، وندوات خاصة يجتمع فيها رجال الفكر والعلم وعشاق الأدب. وكانت ندوة البارودى الأدبية تعتبر فى القمة من هذه المجالس، يعقدها فى داره " بباب الخلق" ويحضرها صفوة القوم من الشعراء والعلماء وعشاق الأدب والعلم، ومن هؤلاء: الشيخ حسين المرصفى ، والسيد على ابو النصر، وعلى الليثى، ومحمود صفوت الساعانى، والشيخ أحمد الزرقانى الكاتب الأديب، ومحمد سعيد بن جعفر مظهر الشاعر الثائر، وشيخ الأدباء عبد الله فكرى ، وأحمد وهبى الشاعر " الطرابيشى" والشيخ محمد عبده، وفيها أمهات الكتب الأدبية تقرأ، ودواوين الفحول من شعراء العربية. [٢]

---

(١) للتفاصيل أنظر: فايز على: محمود سامى البارودى شاعر الرومانسية.
(٢) للتفاصيل أنظر: على الحديدى: محمود سامى البارودى.

واستمرت الأحوال على ذلك المنوال حتى تطورت الأمور، والتهب لهيب الثورة العرابية فانشغل البارودى عن الأدب ، وتفرغ للمشاركة مع زملائه من قادة الثورة، يفكرون فى أوضاع البلاد ومواقف الخديوي المؤدية للانجليز، حتى انتهى الأمر بالغزو الانجليزى لمصر عام ١٨٨٢.

وبعد هزيمة الثورة العرابية ونفى البارودى إلى سيلان لم يجد من يبث شكواه إليه سوى ربة الشعر فكانت نعم العزاء حيث ألهمته أبلغ آياتها وساعده فى ذلك ذاتيته القوية فأبدع وأجاد فى ديوانه من الشعر السياسى، ومن وصف الطبيعة المصرية والآثار القديمة والحياة المصرية، واتجه بالشعر العربى وجهة جديدة برزت فيها شخصيته، وبدا شعره مرآة لبيئته وزمانه، فقال الشعر مخلصا محبا إياه، لا يبتغى سوى إرضاء نفسه وفنه وهذا الإيمان بالشعر هو الذى ألهمه الصبر خلال فترة النفى ، بعد أن يئس من العودة إلى وطنه ، وأبت عليه نفسه أن يضعف ومن ذلك قوله :

وإنى امرؤ لا أستكين لصولة

وأن شد ساقى دون مسعاى قده

وطال به النفى سبعة عشر عاما وشهورا أبدع خلالها أشعارا خلع عليها من الجلال والجمال ما رد إليها قوتها ، وإلى اللغة العربية بلاغتها.

وهكذا اتضحت شخصية البارودى الشعرية وإيمانه بقيمة الشعر بل بضرورته للحياة الإنسانية ، وبدا شعره كمرآة لبيئته وزمانه ، فقد بعث الشعر العربى واللغة العربية من مرقدها ورد إليهما الحياة مما وضعه فى مصاف كبار الشعراء خاصة وان رسالته لم تكن تجديد الشعر العربى فحسب بل كانت بعثه من مرقده والارتفاع به بلا تدرج ولا تمهيد حيث

انفرد بالريادة والسمو، وكان خلال ذلك مخلصا للشعر ، محبا له لا يبتغى به إلا رضا نفسه مؤمنا بأنه وسيلته إلى الخلود فى ضمير الأجيال. وحسب البارودى أن ديوانه آية لمجده ، وتراث للأجيال بعده، فهذا الديوان يمثل عبقرية خالــدة بعثت فى العربية خلقا جديدا أعاد الحياة للشعر المعاصر بعد أن أضعفــه العصر التركى العثمانى، فكان البارودى بذلك أول رواد الشعر فى العصر الحديث ، واستحق بحق أن يطلق عليه شاعر الرومانسية.

الفصل الثالث
البارودى بين السياسة والثورة

شاهد البارودى الأحداث التى تمر بوطنه عن قرب حيث كانت مصر فى عصر اسماعيل أبعد ما تكون عن الاستقرار فسياسته أدت إلى ارتباك أحوالها المالية واضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما عاصر فترة وفود جمال الدين الأفغانى إلى مصر، ونشره لأفكاره الثورية والاصلاحية، مما جعل جذوة الوطنية تتقد فى النفوس، وأعطى دفعة قوية للحركة الوطنية المصرية، وبعث فى نفوس قادتها الأمل فى إمكانية تغيير الأوضاع فى مصر. وقد شدت هذه الأحداث البارودى بقوة، وبدأت تموج فى نفسه روح الثورة بعد أن رأى البلاد تهوى إلى الكارثة.

ويفكر البارودى فى عمل يوقف هذا التيار ولكنه يجد نفسه عاجزا، ثم يبلغ به الشعور الوطنى ذروته فيدعو أهالى مصر إلى الثورة على الأوضاع الفاسدة، كما دعاهم إلى مواجهة الظلم وحمل السلاح للتخلص من ظالميهم فكتب شعرا يقول فيه:

فيا قوم هبوا إنما العمر فرصـــة
وفى الدهــر طرق جمــة ومنافع

أصبرا على مس الهوان وأنتــم
عديد الحصى؟ إنى إلى الله راجع

وكيف تــرون الذل دار إقــامة
وذلك فضل الله فى الأرض واسع

أرى رؤوسا قد أينعت لحصادها
فأين – ولا أين – السيوف القواطع

فكونوا حصيدا خامدين أو أفزعوا

إلى الحرب حتى يدفع الضيم دافع

ولكنها دعوة تذهب مع الرياح ويعود صداها يتعثر فى أذيال اليأس! ويتلفت البارودى حوله فلا يجد من يسمع لندائه ولا مجيبا له ، وكأن مواطنيه قد وضعوا أصابعهم فى آذانهم كيلا يسمعوا، فيثور البارودى عليهم ويقول:

أهبت فعاد الصوت لم يقض حاجة

إلى ، ولباني الصدى وهو طائع

فلـــم أدر أن الله صـــور قبـــــلكم

تماثيـــل لم يخـــلق لهن مسامع

وهكذا كان صوت البارودى أسبق الأصوات فى الدعوة إلى الثورة المسلحة على الفساد والظلم القائم فى البلاد واستمر الحال على ذلك حتى تم عزل الخديوى اسماعيل وتولية ابنه توفيق حكم مصر عام ١٨٧٩ وأحس الوطنيون بالأمل فى الخلاص ولكن توفيق سرعان ما نقض عهوده تجاه ما وعد به من اصلاح مما جعل البارودى ينضم إلى العرابيين بعد أن كاشفوه بأمرهم وأقسم لهم على الولاء والوفاء لحركتهم، وقدم لهم كل المساعدات الممكنة وأغلب الظن أن البارودى كان همزة الوصل فى اللقاء بين زعماء حركة الضباط وأعيان البلاد وكبرائها والعلماء، ذلك اللقاء الذى اتفق فيه على تكوين جمعية سرية أطلقت على نفسها "الحزب الوطنى المصرى"، واتخذ الحزب مقره فى حلوان بعيدا عن العيون وجواسيس الخديوى ، وتغلغلت حركة الضباط فى الجيش ، وفى الوزارة ، وفى

القصر، وفى المعارضة، وأصبحت فى موقف يخول لها حرية العمل والقدرة على المبادرة ، واختيار الوقت المناسب للمعركة الفاصلة مع الخديوى وأعوانه.

ولما كانت الفروق الطبقية والميل إلى التعصب الجنسى واضحين فى صفوف الجيش نظرا لتعصب عثمان رفقى وزير الحربية لأبناء جلدته من الشراكسة واستخفافه بالعنصر الوطنى، فكانت الوظائف الهامة والرتب والنياشين تعطى للضباط الشراكسة بينما يحرم منها الضباط المصريون، كما أن عثمان رفقى أخرج معظم الضباط المصريين من الجيش إلى المعاش قبل السن القانونى، كل هذه المظالم دفعت الضباط المصريين إلى التذمر وبدأت الثورة تجتاح قلوبهم فقرروا العمل علانية لوقف الظلم الذى لحق بهم ووافقهم البارودى على ذلك وانضم إلى مطالبهم وبايع مع غيره من الضباط أحمد عرابى لرئاسة الحركة ، واقسموا له يمين الولاء على السيف والمصحف، وبقى البارودى – وزير الأوقاف وقت ذلك– مستشارهم ولسان حالهم فى مجلس الوزراء يبلغهم بما يدور فيه من مواقف تجاههم وينصحهم بما يراه صالحا لهم ولحركتهم ، وفى صبيحة ١٧ يناير ١٨٨١ تقدم أحمد عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى بمذكرة إلى رياض باشا رئيس الوزراء يطالبون فيها بعزل وزير الحربية عثمان رفقى، وتعديل القوانين العسكرية بحيث يكون وزير الحربية مصريا ووقف الظلم والمحسوبية، وفى ٣١ يناير ١٨٨١ اجتمع مجلس الوزراء فى سراى عابدين برئاسة الخديوي، وبحث فى أمر هذه المذكرة ، واستقر الرأى على ضرورة محاكمة الضباط الثلاثة أمام مجلس عسكرى، وكان الأمر موضع

جدل طويل فى المجلس حيث يقول محمود باشا سامى البارودى أنه حصلت مناقشة طويلة فى هذا الصدد وان رياض باشا عارض عثمان رفقى قائلا انه يخشى حدوث تذمر بين الضباط، وقد وعده عثمان رفقى بالتكفل فى ضبط الأمور، وبعد أن استقر الرأى على محاكمة الضباط الثلاثة أصدر وزير الحربية أمرا بالقبض عليهم وسجنهم وتاليف مجلس عسكرى لمحاكمتهم، وحتى لا تخرج الأمور عن نطاق السيطرة اتبع عثمان رفقى طريقة ملتوية إذ ارسل إلى الضباط الثلاثة تذاكر يدعوهم فيها إلى ديوان الوزارة صباح أول فبراير للمداولة فى ترتيب الاحتفال بزفاف الأميرة جميلة هانم شقيقة الخديوي، ولكنهم أحسوا بالمكيدة عن طريق محمود سامى البارودى الذى أبلغهم بحقيقة الأمر، وحين دعاهم عثمان رفقى صباح أول فبراير إلى وزارة الحربية بقصر النيل أعدوا الخطة المضادة وما أن اعتقلوا حتى سارع آلاى الحرس بقيادة الاميرالاى محمد عبيد بالإفراج عنهم، مما أزعج الخديوي وخلال ذلك أشار عليه محمود سامى البارودى بإجابة طلبات الجند وحاول تبرير مظاهرتهم العسكرية، فقال له: " إنى أراهم مطيعين بدليل هتافهم باسم الخديوي، ولو أجيبت طلباتهم لانحسمت المسألة بسلام "، واستسلم توفيق للأمر وانتدب البارودى لمفاوضة الزعماء. ومن الطبيعى ان تسفر المفاوضات – والبارودى على رأسها – عن التسليم بمطالب الجيش كاملة فأقيل عثمان رفقى، وألغى قانون العسكرية المجحف، وأسندت وزارة الجهادية إلى محمود سامى البارودى، وكان النصر مؤزرا، واستردت القوى الوطنية بالجيش شجاعتها

فأيدته بروح منها، ووقفت خلفه تناصره، وأخذت تتطلع إلى عمل أكبر.. وهو القيام بثورة تطيح بالفساد كله.

لقد كان موقف البارودى من حركة فبراير ودفاعه عن زعماء الحركة ومطالب الجيش فى مجلس الوزراء يثيران الشك فى نفس رياض، فبث العيون والأرصاد من حوله حتى تأكد من العلاقة السرية بين البارودى وزعماء الحركة "ومن نقله قرارات مجلس النظار إليهم" ، فدس له عند الخديوي ، وظل به حتى " اعتقد توفيق قلبا وقالبا ان محمود سامى متحد اتحادا كليا مع زعماء الحركة"، وأن بقاءه فى نظارة الجهادية مع ميله إلى عرابى سبب تطاول الضباط على السلطة العليا فى الدولة، فناصبه هو ورياض العداء، وتربصا به الشر، حتى اضطر البارودى إلى الاستقالة فى ١٣ أغسطس ١٨٨١، واعتزال الحياة السياسية والعيش بعيدا عن جو القلق والاضطراب .

وكان البارودى قد اتفق مع زعماء الضباط على أنه إذا لم يستطع دفع الشر عنهم قدم استقالته، وعليهم أن يعدوا هذه الاستقالة إنذارا لهم يتوقعون بعده مالا تحمد عقباه وكان البارودى بالاسكندرية حين قدم استقالته ، وبعد أن عاد إلى القاهرة أرسل إليه رياض مع خطاب قبول الاستقالة يبلغه أن يترك القاهرة ويبتعد عن العرابيين، ونتيجة لذلك هرع شيطان الشعر إلى نفس البارودى فقام بهجاء رياض باشا بقول:

هذا الذى تكره الأبصار طلعته
فحظهـــا منه إيــذاء وإيـــلام

فى وجهه سمـــة للغدر بينـــة
وبين جنبيـــه أحقاد وأوغـــام [1]

---

(١) بمعنى الحقد الثابت فى الصدر

جاءت به عجز ليست بطاهرة

لها بمدرجـــة الفحشاء أرلام [1]

مستيقظ للمخازى غيـــر أن له

طرفا عن العرض والأوتار نوام

وكيف يصلح أمر الناس فى بلد

حكـــامه لبنـــــات اللهـــو خدام

ولكى يسيطر الخديوي على أمور الجيش عين صهره "داود يكن" مكان البارودى وطلب منه الحد من نشاط الضباط الوطنيين داخل صفوف الجيش وملاحقتهم بالجواسيس وتشتيت شملهم ، ونظرا لخطورة الموقف احتشد عرابى بقواته فى ميدان عابدين بعد ظهر الجمعة ٩ سبتمبر ١٨٨١ وقدم مطالبه إلى الخديوي بصفته ممثلا للأمة المصرية ، وهى إقالة وزارة رياض، وتشكيل مجلس نيابى ، وزيادة عدد الجيش والتصديق على قوانينه. وقد أرغم الخديوي على قبول هذه المطالب، بعد ان رفض عرابى ان تترك قواته ساحة عابدين إلا بعد أن تجاب مطالبه، ونتيجة لذلك شكلت وزارة جديدة برئاسة شريف باشا فى ١٤ سبتمبر ١٨٨١ وتم تعيين البارودى وزيرا للحربية فيها.

ونتيجة لاعتراض وزارة شريف باشا على السماح للنواب بالإشراف على الميزانية، وإصرار البارودى على ضرورة مناقشتها والاطلاع عليها، وعزل شريف باشا إذا لم يوافق على ذلك، تطورت الأمور إلى درجة التحدى مما أدى على استقالة الوزارة، ومطالبة النواب بتعيين البارودى

---

(١) جمع زلم بمعنى النصيب.

خلفا لشريف، وقد وافق الخديوى على ذلك، وكلف البارودى بتشكيل الوزارة كما أحال إليه وزارة الداخلية، وأحال إلى عرابى وزارة الحربية مما جعل زمام الأمور فى يد العرابيين كاملة.

وقد استهلت وزارة البارودى عهدها بأن جعلت من حق مجلس النواب النظر فى الميزانية والإشراف على أحوال البلاد المالية مع تعهدها باحترام الارتباطات الدولية والالتزامات المالية المرتبطة بالديون، كما كونت الحكومة مجلس شورى لرفع الاستبداد الإدارى عن الشعب، والمساعدة فى تجهيز القوانين واللوائح الإدارية. فصدر القانون بتعديل لائحة مجلس النواب، وتضمنت نصا يقول ترسل الميزانية إلى مجلس النواب فينظرها ويبحث فيها ويعين لها لجنة من أعضائه مساوية بالعدد والرأى لأعضاء مجلس النظار ورئيسه لينظروا جميعا فى الميزانية ويقرروا بالاتفاق او بالأكثرية.

وهكذا تم حسم الصراع حول أحقية النواب فى مناقشة الميزانية. ونتيجة لذلك أجمع أعضاء مجلس النواب على أن البارودى هو رجل الساعة الذى يستطيع بثوريته أن يتجاوب مع آمال الأمة، ويكفل لها الحياة الديمقراطية السليمة، ويحافظ على كرامتها الوطنية باستقلالها الكامل. ومن أجل ذلك أطلق على وزارة البارودى بحق "الوزارة الوطنية" وأطلق عليها أيضا " وزارة الثورة"، فقد كانت تضم ثلاثة من زعمائها: محمود سامى البارودى للرئاسة والداخلية، وأحمد عرابى للحربية والبحرية، ومحمود فهمى للأشغال، واعتبر تشكيل هذه الوزارة انتصارا للجناح العسكرى فى الحركة

الوطنية فى مواجهة الخديوي والأتراك والجراكسة والمراقبة الثنائية، وبرزت شهرة عرابى على اعتبار أن السلطة الفعلية كلها أصبحت فى يده.

وافتتحت وزارة البارودى أعمالها بإعداد الدستور، وجعلته يوائم آمال الأمة، ويحقق إرادتها ويحفظ كرامتها كدولة مستقلة ، لمجلس نوابها حق نظر ميزانيتها، وبعد موافقة الوزارة على مواد الدستور حمل البارودى الدستور ، إلى الخديوي وكأنه يحمل آمال الأمة وتوقيعاتها عليها بالموافقة، فلم يسعه إلا أن يضع خاتمه بالتصديق، وما كان ليستطيع – ولو اراد – أن يفعل غير ذلك.

وكان يوم الأربعاء ٨ فبراير قمة المجد الذى بلغه البارودى فى حياته السياسية كلها، وذروة النصر الذى وصلت إليه الأمة بثورتها، ومجلس نوابها، ووحدة القوى الوطنية فيها، فقد حضر "محمود سامى البارودى" رئيس الوزراء إلى مجلس النواب ومعه "اللائحة الأساسية" المحققة لإرادة الأمة مصدقا عليها من الخديو "وقوبل البارودى فى المجلس بالتعظيم والإكبار، وسر النواب بهذا الانجاز فشكروا الوزارة الجديدة على ذلك، ثم وقف محمود سامى خطيبا فى المجلس يقدم الدستور لنوابه بخطاب سياسى جامع يكشف عن منابع أصيلة لوطنية البارودى المحبة لمصلحة الوطن واستقراره وسط أفراح الوطنيين وسعادتهم.

وانتهت دورة مجلس النواب الأولى فى ٢٦ مارس ١٨٨٢، وسارت الحركة الوطنية يحدوها الرغبة فى السير بالبلاد إلى بر الأمان، ولكن الخديوي الذى أبعدته الوزارة عن الحكم المطلق، ومنعت الأجانب عن التدخل فى شئون البلاد قد ضاق بالحركة الوطنية وشاركه فى هذا الشعور

قنصل بريطانيا العام خشية من نجاح الوزارة ومجلس النواب فى استقرار الأمور والتغلب على المشاكل واحتمال ضياع الفرصة على انجلترا فى احتلال مصر فاستغلت بريطانيا وفرنسا الفرصة لتوسيع دائرة الخلاف بين وزارة البارودى والخديوي، فنصحت الخديوي بعدم التصديق على الحكم الخاص بمؤامرة الشراكسة ضد العرابيين والتى صدر الحكم فيها فى مايو ١٨٨٢ كما تقدمت انجلترا وفرنسا بمذكرة مشتركة فى ١٨٨٢/٥/٢٥ تطلبان فيها اسقاط وزارة البارودى، وإبعاد عرابى عن مصر، وتحديد إقامة على فهمى وعبد العال حلمى فى الريف، وقد رفضت وزارة البارودى هذه المذكرة، كما رفضتها الأمة كلها، وأرسلت التلغرافات لتأييد الوزارة الوطنية، ومع ذلك فقد وافق عليها الخديوي وقد أوضح عرابى ذلك فى مذكراته بقوله: "لما رأت انجلترا نجاح الحزب الوطنى فى أعماله وعلمت بتأليف وزارة وطنية حرة، وأن تلك الوزارة صادقت على قانون مجلس النواب ولائحة انتخاب النواب وصدر الأمر الخديوى بالتصديق عليهما كبر عليها هذا الأمر واستمالت إليها دولة فرنسا للاستعانة بها على إطفاء نور الحرية والعدالة" وقد طلب الخديوي من البارودى قبولها منعا لحدوث ارتباكات مالية، وسفك دماء ولكنه اعترض على ذلك وقدم استقالته فى ٢٦ مايو ١٨٨٢ احتجاجا على التدخل الأجنبى وقبول الخديوي له ، فقبلها الخديو بناء على نصيحة انجلترا وفرنسا، مما استثار غضب العرابيين، وجعلهم يفكرون فى عزل الخديوى توفيق، وتكوين مجلس وصاية برأسه البارودى وعرابى ليتولى الحكم باسم الأمير عباس الابن القاصر للخديوي توفيق.

كما استقر الرأى على اجتماع مجلس النواب رغم اعتراض الخديوي على ذلك لبحث أمر قبول اللائحة المشتركة ، وتمت مناقشة مسألة خلع الخديو، وطلب عرابى من الحاضرين أن من يوافق على هذا الرأى يقوم بالوقوف فقام الضباط واقفين، واعترض "محمد سلطان" رئيس مجلس النواب وبعض الأعضاء المدنيين على ذلك وتوجهوا إلى سراى الاسماعيلية مطالبين الخديوي بإبقاء عرابى على نظارة الجهادية حتى لا يحدث قلق فى البلاد، ووافق الخديوى على طلبهم حفاظا على انتظام أحوال الجيش وحفظ الأمن فى البلاد، وبعد عودة عرابى إلى نظارة الجهادية أصدر منشورا إلى قناصل الدول الأجنبية تكفل فيه "بتأييد الأمن والراحة لجميع سكان القطر المصرى وطنيين وأجانب مسلمين وغير مسلمين"، ومع ذلك فقد قام بعض العرابيين بالذهاب إلى منزل عرابى وتحرير محاضر بعزل الخديو، وتختيم بعض الأهالى عليها.

وخلال ذلك أخذت العناصر الوطنية تستعد للمواجهة فدعا البارودى زعماء الثورة وكبار الضباط إلى التحالف واستمرار الوفاء للثورة، وتلا عليهم الشيخ محمد عبده قسم الوفاء للثورة ، وتجديد الولاء لمبادئها على المصحف والسيف، وهم يرددون بعده: " والله العظيم، والله العظيم، والله العظيم قاهر السموات والأرض المتسلط على القوى والقدر، وحق ما فى كتاب الله تعالى، إننى وأنا (فلان) لا أخون وطنى، ولا أخون نفسى، ولا أغش إخوانى، ولا أحدا من أهل بلادى ، وأحافظ على عرضى وعلى دينى، وعلى عرض أهل بلادى، ولا أدع أحدا أيا كان يتعدى على أحد من أهل بلادى ما دمت قادرا على منعه، وإننى أحافظ على النظام وعلى القانون العسكرى بكل ما يمكننى، وبقدر استطاعتى، وإذا حنثت بيمينى هذا

أكون مستحقا لقطع الرقبة وشق الصدر، وأكون محروما من مزايا الإنسانية والآداب".

لقد كان قبول الخديوي اللائحة المشتركة وموافقته على تدخل انجلترا وفرنسا فى شئون البلاد بمثابة الشرارة التى فجرت بركان الثورة المحتدمة فى قلب البارودى على الخديوي توفيق، وأعلنها عليه حربا شعواء، انتقاما لكرامة هذا الوطن الذى عرضته الخيانة للخطر. فسيقسم أنه لن يهدأ نفسا حتى يخلص البلاد منه ولو بإراقة الدماء، وبتقديم حياته قربانا لوطنه. ويدق ما ردد الشعر طبوله ، فتزيد رناتها ثورة البارودى النفسية فينشد:

تا الله أهـــدأ أو تقـــوم قيـــامة

فيهـــا الدمـــاء على الدماء تراق

أنا لا أقر على القبيـــح مهـــابة

إن القـــرار على القبيـــح نفـــاق

قلبى على ثقـــة ونفسى حـــرة

تأبى الدنى، وصـــارمـــى ذلاق

فعلام يخشى المرء فرقة روحه؟

أو ليـــس عاقبة الحياة فراق؟ (١)

ثم يصور البارودى عملاء الرجعية الجدد بقيادة سلطان باشا، ويرد عليهم وقد شنوا حملة دعائية عليه تلومه على موقفه من الخديوي صاحب السلطة الشرعية فى البلاد فيقول:

عابـــوا على حمـــيتى ونكايتى

والنـــار ليس يعيبها الإحراق

---

(١) أنظر ديوان البارودى.

فاعرفهم ، واحذر تشابه أمرهم

لا تستوى الأغـــلال والأطواق

شروا الضلالة الهدى ، واغترهم

لين الحيـــاة، وماؤها الرقـــراق

ثم يتحول إلى الخديوي رأس الخيانة وسليل الرجعية فيلطخه بالعار ويصمه بالخزى، ويضع صورته على معبر التاريخ فى إطار من الذلة والهوان، فيقول فيه:

عدادك فى سلك البرية خزية

ودعواك حق الملك أدهى وأعظم

وخلال ذلك تقف جماهير الشعب بجانب الثوار، تتجه وجوههم إلى السماء، ورافعين أكفهم كلما ذكر عرابى "الله ينصرك يا عرابى وتصدر الفتاوى من بعض مشايخ الأزهر بخيانة الخديوى وخروجه عن الشرع وتطالب بعزله ، وينفعل البارودى بكل ذلك وبالمشاكل التى يتعرض لها وطنه ، وتخرج منه أشعار تعبر عن ذلك نذكر منها:

كنا نود انقـــلابا نستـــريح به

حتـــى إذا تم ســـاعتنـــا مصايره

فالقلب مضطرب فيما يحاوله

والعقـــل مختبـــل ممـــا يحاذره

إذ دام هذا أضاع الرشد كافله

فيمـــا أرى، وأطاع الغى زاجره

تنكرت مصر بعد العرف، واضطربت

قواعـــد المـــلك حتى ربع طائره

فاهمل الأرض جرا الظلم حارثها

واسترجع المال خوف العدم تاجره

واستحكم الهول ، حتى ما يبيت فتى

فى جـــوشن الليل إلا وهو ساهره

وخلال تلك الفترة كان زعماء الثورة يجتمعون فى منزل البارودى يدرسون الموقف السياسى وأفضل نظم الحكم الملائمة لحكم مصر بعد عزل توفيق ، وكانت الجمهورية الحيادية هى نوع الحكومة المفضل عند البارودى فقد كان يسعى لتحقيقها فى حذر، ففى احدى الجلسات أخذ محمود سامى يتحدث عن فوائد الحكومة الجمهورية لبلاد مثل مصر، ومما قاله: " لقد كنا نرمى منذ بداية حركتنا إلى قلب مصر إلى جمهورية مثل سويسرا، وعندئذ كانت تنضم إلينا سورية ويليها الحجاز. ولكننا وجدنا العلماء والمشايخ يرفضون هذه الفكرة لأنهم كانوا متأخرين عن زمنهم، لكننا مع ذلك سنجتهد فى جعل مصر جمهورية قبل أن نموت، وقد هلل عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية لهذه الفكرة وأخذ يبثها فى أذهان الجيل الجديد.

لقد كانت دعوة البارودى إلى خلع الخديوي، وقلب نظام الحكم إلى جمهورية منفصلة عن الدولة العثمانية، وتكون حيادية كسويسرا، تمثل المرحلة الأولى للوحدة العربية بانضمام سورية والحجاز إليها، كما طرح أحد العرابيين على عرابى فكرة خلع الخديوي توفيق وتولية حليم باشا ابن محمد على مكانه، ولكن عرابى صاح غاضبا إننا يجب ان نتخلص من

أسرة محمد على كلها. وخلال هذه الاجتماعات كانت تناقش اتجاهات الدول الأجنبية، والتدابير التى يجب أن تتخذها مصر لمواجهة الأطماع الأوروبية، ومدى استعداد الجيش والبلاد فى مواجهة احتمالات التدخل المسلح، وقد رأى البارودى ببصيرة القائد الحربى أن قناة السويس هى اضعف نقط الدفاع فى السواحل المصرية، ونصح بأن تتخذ كافة الإجراءات لردمها فى ساعات قلائل عندما يبدو دلائل الاعتداء عليها، ولكن عرابى استبعد فكرة الاعتداء عن طريق القناة تحت تأثير الوهم الذى خادعه به المهندس "دلسبس" من حيدتها واستعداد الدول وخاصة فرنسا لمنع أى اعتداء يأتى من ناحيتها.

وبينما كانت المسألة المصرية تعرض فى مؤتمر الآستانة بتركيا الذى انتهى إلى عقد اتفاق أطلق عليه "ميثاق النزاهة"، والذى تعهدت الحكومات بمقتضاه بأنها فى كل اتفاق يحصل بشأن تسوية المسألة المصرية لا تبحث عن احتلال أى جزء من الأراضى المصرية ولا على امتياز خاص بها قام الأسطول البريطانى بضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ وانحاز الخديوي إلى الأعداء ووقف بجانبهم وهبت الأمة المصرية كلها للدفاع عن الوطن. ولما وصل خبر الاعتداء على الإسكندرية إلى البارودى ارتدى ملابس الميدان، وأخذ عتاده الحربى ، وأسرع إلى الإسكندرية ليضع نفسه فى خدمة الوطن، ويشارك فى المعركة، واجتمع البارودى بعرابى ومجلس القيادة الحربية[١] يبحثون تطورات الموقف من الناحيتين: السياسية والحربية ويعملون على تنظيم الخطوط الخلفية وتوفير الامدادات، وقد

---

(١) كان مكونا من كبار الضباط أمثال محمود فهمى المهندس أركان حرب القيادة المصرية وطلبه عصمت، وسليمان سامى داود وغيرهم من قادة الميدان.

صمدت القوات المصرية فى مراكزها بعض الوقت وبذلت جهدها أمام قذائف الأسطول الانجليزى للطوابى، وتطوع كثير من الرجال والنساء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم ونتيجة لتطورات الأحداث واتضاح موقف الخديو المؤيد للانجليز دعا عرابى إلى عقد جمعية عمومية من كافة طوائف الشعب ليعرض عليها الأمر، واتخذت الجمعية قرارها بالاستمرار فى قتال الانجليز، كما تم تشكيل مجلس عرفى من كبار الضباط والموظفين لاتخاذ التدابير اللازمة للحرب، وانضم البارودى إلى هذا المجلس وشارك فى جلساته.

ونتيجة لضرب مدافع الأسطول الانجليزى للاسكندرية وتدمير مواقعها الدفاعية توجه عرابى بجنوده إلى كفر الدوار وأقام استحكاماته هناك فى المكان المعروف باسم الميدان الغربى حيث لم تعد الإسكندرية تصلح كمنطقة دفاعية بعد تحطيم حصونها وحرقها مما أعاق تقدم القوات الإنجليزية فى هذه المنطقة حيث قدم المصريون سجلا مجيدا لمقاومة الغزاة. وخلال استعدادات عرابى للدفاع عن البلاد أصدر الخديوي أمرا بوقف الاستعدادات الحربية، كما طالب عرابى بالحضور إليه فى قصر رأس التين، ولكن عرابى لم يستجب لتعليمات الخديوي واستمر فى استعداداته مما جعل الخديو يعلن عصيانه وعزله من منصبه.

وكان نص قرار العزل كما يلى: " إن ذهابكم إلى كفر الدوار مستصحبا العساكر وإخلاء ثغر اسكندرية من غير أن يصدر لكم أمر بذلك، وتوقيف حركة السكة الحديد، وقطع جميع المخابرات التلغرافية عنا، ومنع ورود البوستة إلينا ومنع حضور المهاجرين إلى وطنهم بالاسكندرية، واستمراركم فى التجهيزات الحربية ، وارتكابكم عدم الحضور بطرفنا بعد

صدور أمرنا بطلبكم ، كل ذلك يوجب عزلكم فقد عزلناكم من نظارة الجهادية والبحرية، وأصدرنا أمرنا هذا لكم بما ذكر ليكون معلوما" .

ونتيجة لذلك عقد عرابى اجتماعا تم فيه تداول الموقف الحربى وتليت فتوى شرعية مؤداها أن الخديوي بانحيازه إلى العدو المحارب لبلاده يعتبر خارجا عن الدين كما استمر عرابى فى استعداداته، وسافر إليه البارودى مع بعض كبار الضباط إلى كفر الدوار، وعقدوا مجلسا عسكريا مع عرابى، استعرضوا فيه الخطط العسكرية وقرروا تحصين الخط الشرقى ودمياط ، كما رأى البارودى وعلى فهمى رئيس هيئة أركان الحرب المصرية ، ضرورة سد قناة السويس لمنع الأسطول الانجليزى، ولكن عرابى لم يستمع لنصائحهم مؤمنا بوعود ديليسبس التى كانت تنحصر فى ضمان حياد المرور فى القنال للجميع ، فكان ذلك من الأسباب التى غيرت مجرى الحرب حيث اخترق الانجليز حياد القناة ، وانتقلت المعركة إلى الجبهة الشرقية بالتل الكبير فى أوائل أغسطس ١٨٨٢ وأمام هذا التحول المفاجئ فى جبهات القتال أعاد عرابى حساباته وأخذ العرابيون فى إعداد خطوط دفاعية جديدة، وخلال ذلك عرف البارودى أن كفة الحرب قد تحولت إلى مصلحة الأعداء، وأن الوطن قد بات فى خطر، وضاقت به نفسه وهو يرى الصواب وينصح فلا يسمع أحد لنصحه ، وتظل يده مغلولة، فالأمر بيد غيره لا بيده، ويموج صدره بالحسرة فيهتف:

نصحت فكذبتم فلما أتى الردى

عمدتم لتصديقى، وقـــد قضى الأمر

فلم يبق فى أيديكم غير حسرة

ولم يبق عندى غير ما عافه الصدر

فجاء الذى كنتم تخافون شره

وزال الذى لم يبق من بعده شعر(١)

ولما تحرجت الأحوال فى الميدان الشرقى دعاه عرابى إلى قيادة موقع الصالحية غربى الاسماعيلية فأطاع الأمر الذى صدر إليه ، وهو يعلم ان الدفاع أصبح بعد احتلال القناة أمرا ميئوسا منه من الوجهة العملية، وأن المعركة غير متكافئة ، فقد كانت جيوش الانجليز ضعف عدد قوات الجيش المصرى، هذا بالإضافة إلى تفوقها بالتدريب والمعدات الحربية الحديثة، ومع ذلك لبى البارودى نداء وطنه حين دعاه كما يقول:

دعونى إلى الجلى فقمت مبادرا

وإنى إلى أمثال تلك لسابق(١)

وخرج البارودى إلى الحرب قائدا لفرقة من ١٢ ألف جندى من الأسلحة الثلاثة: المشاة، والسوارى ، والمدفعية ، وأخذ منذ وصوله إلى مواقعه "يواصل الليل بالنهار فى عمل الاستحكامات الحربية ومد خط دفاع طوله ٤ آلاف متر، كما قام بتحصين مراكز الطوابى بحيث تستعصى على الأعداء، وكان موقع الصالحية هاما لحماية مؤخرة الجيش المصرى، وظل جنوده يقاومون العدو بكل بسالة، ولكن جبهة الخيانة التابعة للخديوى كانت تحيط العدو بمواقع الجيش المصرى واستعداداته ، فتابع الجيش الانجليزى تقدمه ونجح فى الاستيلاء على المواقع الأمامية للجيش المصرى، كما نجح فى أسر "محمود باشا فهمى" مما أدى إلى تصدع الجبهة الشرقية ولما أقتضى الأمر تعطيل تقدم القوات البريطانية عهد عرابى إلى البارودى

(١) للمزيد أنظر: ديوان البارودى.

المشاركة فى واقعة القصاصين فقام بتنفيذ الأمر، وبعد وصوله إلى هنـــاك حاولت القـــوات المصرية الإحـــاطة بالعدو، فاجتمع مجلس قيـــادة الحرب

---

(١) للمزيد أنظر: ديوان البارودى.

وحضره محمود سامى، وتقرر الهجوم على مركز التجمع الانجليزى بالقصاصين، ورسمت الخطة ، وعرف كل قائد مهمته فى العملية الحربية" وكان على محمود سامى قومندان مركز الصالحية أن يزحف بجيشه ليلا بحيث يصل إلى الخط المعين للقتال عند مطلع الفجر، ويقف على يسار جيش مركز رأس الوادى ، ويحيط بميمنة العدو ، وعلى القوة التى على يمين الترعة أن تحيط بميسرته ، ويقتحم الأعراب الترعة من خلفه، ويقطعوا على العدو خط الرجعة. وعمل المخطط بهذا الترتيب على طريق محمود فهمى المهندس رئيس أركان حرب الجيش، وأعطى لكل أمير من القواد نسخة يعمل بموجبها، ويمضى عرابى فيصف المعركة فى مذكراته فيقول: " وفى الثلث الأخير من مساء ٩ سبتمبر قام الجيش على هذا الترتيب ، فلما وصل قريبا من العدو أخذ كل محله على خط النار، ولكن العدو كان عالما بما استقر عليه الرأى ، بعد أن أطلعهم عليه الأميرالاى على يوسف خنفس قائد الاستطلاع الذى كان على صلة بالخديوى والإنجليز فاستعد العدو للمعركة، وبادر بإطلاق النار، واشتبك الجيشان، واستبسل المصريون فى القتال، وتوالى التقدم والتقهقر بين الجيشين ، وظهرت خيوط الصباح ورحى المعركة دائرة. وتوقع القادة المصريون هجوم جيش "الصالحية" بقيادة محمود سامى على ميمنة الأعداء ليغير من اتجاه المعركة، ولكنهم أصيبوا بخيبة أمل، حيث لم يأت محمود سامى

بجيشه، وتأخر عن موعده، فقد قابله في الليل الأعراب المرتشون، وأضلوه وجيشه فى الصحراء ! وحين انبلج الصبح ، اهتدى البارودى إلى الطريق وسارع إلى المعركة، ولكن العدو كان له بالمرصاد، ولم يمكنه من تنفيذ خطته.

وحاول البارودى أن يبث الشجاعة فى القلوب التى أذعجتها المفاجأة ، ويعيد تشكيل رجاله ، ولكن الهزيمة كانت قد ذهبت بالنفوس، وأطاحت بالعقول " وبقى البارودى مع قلة من الفرسان، وصمدوا للمدافع والنيران.. وظل مع الأعداء فى قتال حتى لم يبق من حوله رجال!!" وإلى هذه يشير البارودى من قصيدة طويلة:

فلما استمر الجد ساقوا حمولهم

إلى حيث لم يبـلغه حـاد وسائق[1]

هم عرضونى للقنا ثم اعرضوا

سراعا، ولم يطرق من الشر طارق

فكم آبق تلقـاه من غيـر طارد

وكـم واقف تلقاه والعقـل آبق[2]

فلا رحم الله أمرءا بـاع دينـه

بدنيـا سواه وهو للحق رامـق

وهكذا كانت هزيمة الجيش المصرى فى معركة القصاصين بداية النهاية، حيث انفتح الطريق أمام القوات الانجليزية وحدثت معركة التل الكبير التى كانت سلسلة من المآسى قوامها الخيانة حيث كان بالاسكندرية مكتب يسمى " قسم المخابرات العسكرية" مهمته تنظيم شبكة الجاسوسية فى

---

(١) كناية عن التخاذل والفرار.
(٢) بمعنى هارب.

البلاد، وكان على رأس هؤلاء " محمد سلطان" رئيس مجلس النواب كما أن معارك التل الكبير كانت غير متكافئة ، وقد ساعد على هزيمة عرابى عدة عوامل منها نجاح الخديوى فى ضم البدو إلى الانجليز بعد رشوتهم ، وخيانة بعض الضباط الذين انضموا إلى الخديوى، وأبلغوه بخطط العرابيين ومواقعهم.

وبعد هزيمة التل الكبير أسرع البارودى إلى القاهرة لاتخاذ العدة للدفاع ومنع الانجليز من دخول العاصمة بمد خطوط الاستحكامات على حدودها فتوجه عرابى إلى العباسية لإجراء ترتيب النقط العسكرية ووضع التصميمات لإنشاء خط دفاعى، ولكنه وجد شبح الهزيمة باديا على الضباط والجنود، وحاول البارودى ان يقنع عرابى بترك القاهرة والالتجاء بالجيش إلى الصعيد، فيستولى على جميع المراكب، وتشحن بالذخيرة والتعيينات، وتؤخذ إلى الصعيد مع الجيش، وفى الصعيد يمكن تنظيم الجيش من جديد، وتعبئة القوى الإسلامية من ليبيا والسودان، ثم الهجوم على المعتدى وطرده من البلاد، وإذا ما تغلب العدو مرة ثانية أمكن نقل الجبهة إلى السودان. ويقول عرابى فى مذكراته ردا على مقترحات البارودى: "وحيث أنى رأيت عدم موافقة رأيه لما تحققته من الخراب الذى يحيق بمديريتى القليوبية والشرقية ودمار عاصمة البلاد وسفك دماء الأبرياء على غير جدوى، فضلا عما رأيته من تحول الأفكار وضعف القلوب، واختلال النظام بالجيش وافقت المجلس على التسليم".

وأيقن البارودى ان دوى الهزيمة قد سد الآذان ، وأصاب التفكير بالشلل. فتمثلت له النهاية المزرية فى الاستسلام الذليل للأعداء!! وبعد

قرار التسليم لم يقبل أن يسلم نفسه وسيفه طواعية لأعداء الوطن ، وقال: "إنى ذاهب إلى منزلى فإذا أرادونى فانهم يعرفون أين يجدوننى".

وسلمت القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢، ودخلها القائد الانجليزى دون مقاومة تذكر. وهكذا انتكست أعلام الثورة العرابية التى قامت من أجل الدفاع عن شرف البلاد وكرامتها وصد الظلم الداخلى والتدخل الخارجى وابتلعت السجون رجالها وأحس الشعب المصرى بمرارة الهزيمة، ولكنه سرعان ما التقط أنفاسه فانتقلت الشعلة من جيل الثورة العرابية إلى الجيل الذى حمل الراية بعدها بزعامة مصطفى كامل.

الفصل الرابع
البارودى بين السجن والنفى

بعد القبض على البارودى ، زُجَّ به فى غياهب السجن وكانت حياة السجن تجربة جديدة بالنسبة له آثارت فى نفسه مشاعر الألم والإلهام ، فكتب شعرا يصف نفسه بين سجنه وسجانه يقول فيه:

شفنى وجــدى وأبلانى الســهر	وتغشتنــى سمادير الكـــدر
فســواد الليل ما إذن ينقــضى	وبياض الصبــح ما إن ينتظر
لا أنيس يسمع الشــكوى، ولا	خبر يأتى، ولا طيف يمـــر
بين حيطـــان وبـــاب موصـــد	كلمـــا حركه السجان صر [١]
يتمشـــى دونـــــه ، حتـــى إذا	لحقته نبــأة[٢] منى استقـــر
كلمـــا درت لأقضـــى حـــاجة	قالت الظلمـــة : مهلا، لا تدر
أتقـــرى الشـــــئ أبغيـــه ، فلا	أجد الشئ ، ولا نفسى تقر [٣]
ظلمة ما إن بهـــا من كـــوكب	غيـــر أنفاس ترامـــى بالشرر

وقد انتدبت "عديلة هانم" زوجة البارودى المحامى الانجليزى "بردلى" للدفاع عنه، فزاره فى زنزانته فذكر له البارودى ما يتعرض له من سوء معاملته فى السجن ومع ذلك فإنه لم يكن يفكر إلا فى مصر ، وبعد أن قامت المحكمة باستجواب البارودى والتحقيق معه وتوجيه تهمه العصيان والخيانة له حكم عليه فى جلسة السابع من ديسمبر ١٨٨٢ بالقتل بناء على المادة ٩٦ من القانون العسكرى العثمانى والمادة التاسعة من قانون

---

(١) صر : صوت ، والاسم الصرير.
(٢) النبأة : الصوت الخفى
(٣) تقر : بمعنى نفسى تهدأ وتطمئن.

الجنايات ثم استبدل الحكم بالنفى المؤبد مع تجريده من أملاكه ورتبته العسكرية، كما نص القرار على إعدامه إذا عاد إلى الأقطار المصرية أو ملحقاتها. وفى الخامس والعشرين من ديسمبر ١٨٨٢ أقتيد الزعماء السبعة وهم أحمد عرابى ومحمود سامى البارودى وعلى فهمى ، وعبد العال حلمى ، وطلبه عصمت ، ويعقوب سامى، ومحمود فهمى من سجن الدائرة السنية إلى ثكنات قصر النيل ثم توجهوا فى قطار خاص إلى السويس تحت الحراسة المشددة تمهيدا لنفيهم إلى جزيرة سيلان Ceylon . وحانت ساعة الفراق بعد أن استقل الباخرة فى منتصف نهار ٢٧ ديسمبر إلى مقره الأخير ووقف البارودى يلقى نظرة الوداع على الوطن الحبيب فكتب قصيدة يقول فيها:

ولما وقفنـــا للوداع وأسبـلت   مدامعنـا فوق الترائب كالمزن [١]

أهبت بصبـرى أن يعود فعزنى   وناديـت حلمـى أن يثـوب فلم يغن

ولم تمـض إلا خطرة ثم أقلعت   بنا عن شطوط الحى أجنحة السفن [٢]

فكم مهجة من زفرة الوجد فى لظى   وكم مقلة من غزرة الدمع فى دجن[٣]

وفى منفاه عاش البارودى وحيدا حيث رفضت زوجته السفر معه كتب البارودى القصائد الخالدات ، حيث لازمته ربة الشعر لا تفارقه، فكتب مدافعا عن نفسه ودوره فى الثورة ، يرد على الافتراءات التى طالته فى أعقاب الهزيمة فيقول:

لم اقترف زلة تقضـى علـى بـما   أصبحت فيه فماذا الويل والحرب

فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى   ذنـب أدان بـه ظلما وأغترب

---

(١) الترائب: جمع تريبة أعلى الصدر، والمزن السحاب ذو الماء.
(٢) الخطرة هنا كناية عن اللحظة القصيرة.
(٣) الدجن : المطر الكثير.

أثريت مجدا ، فلم أعبأ بما سلبت   أيدى الحوادث منى، فهو مكتسب

وما أبالى ونفسى غيــر خاطئـــة   إذا تخـــرص أقـــوام وإن كذبوا

لا يخفض البؤس نفسا وهى عالية   ولا يشيد بذكر الخامل النشب[1]

وقال فى قصيدة أخرى :

إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت   عليه فلا يأسف إذا ضاع مجده

ومن ذل خوف الموت كانت حيـــاته   أضر عليه من حمام يؤده [2]

وأقتـــل داء رؤيـــة العيـــن ظالمـــا   يسئ ويتلى فى المحافل حمده

علام يعيش المرء فى الدهر خامـــلا   أيفـــرح فى الدنيـــا بيوم يعده

وبعد ثلاث سنوات من النفى تصل للبارودى الأخبار معلنة وفاة زوجته السيدة "عديلة" بالقاهرة ، فيشعر بالحزن لفراقها ، وتضيف عذاب الغربة التى يتعرض لها عذاب الألم من أجل زوجته ، وتدركه ملكة الشعر فيقول عاتبا على الدهر يستنكر منه فجيعته :

يا دهر فيـــم فجعتـــنى بحـــليلة   كانـــت خلاصة عدتى وعتادى

إن كنت لم ترحم ضناى لبعدها   أفلا رحمت من الأسى أولادى؟

كما يقول فى قصيدة أخرى:

فسقطت مغشيـــا على كأنمـــا   نهشـــت صميم القلب حية وادى

ويطحن البارودى الألم بفراق " زهرة حياته " ويكاد يقضى عليه، ويسحقه الحزن عليها حتى يوهن عزمه، ويحطم عوده كما يقول:

أبلتنى الحسرات حتى لم يكد   جســـمى يلـــوح لأعيـــن العـــواد

---

(١) النشب هو العقار أو المال .
(٢) يؤدى أى يدهاه بداهية.

وتتمثل له زوجته فيتحدث إليها وكأنه يناجيها، ثم يهلع من تصورها فى جواف القبر المعتم ، ويتمنى لو أن هناك فداء لفداها بنفسه فيقول:

أسليلة القمرين ! أى فجيعة ... حلـت لفقدك بين هذا النادى؟

أعزز على بأن أراك رهينة ... فى جوف أغبر قاتم الأسداد!

لو كان هذا الدهر يقبل فدية ... بالنفس عنك ، لكنت أول فادى

ثم تتجدد مواكب الأحزان على البارودى فيأتيه البريد من مصر يحمل وفاة ابنته "سميرة" فيهد الحزن قوته ، ويدب الضعف فى جسده ، وتمتد مشاكله الصحية إلى عينيه وخلال ذلك لم يفتر حنينه إلى الوطن لحظة، ويتمنى العودة إلى الوطن، ويشكو طول شوقه إليه فيستغيث بربه قائلا:

يارب قد طال بى شوقى إلى وطنى ... فاحلل وثاقى وألحقنى بأشباهى

وامنن على بفضل منك يعصمنى ... من كل سوء فإنى عاجز واهى

هذا دعائى وحسبى أنت من حكم ... يعنـو له كل شـاه أو شهنشاه

ويقوى الزهد عند البارودى ويشتد حتى يكاد يصل به إلى أعتاب التصوف، فيحس بنور الحكمة يغمر قلبه بعد أن وهب نفسه لله ، ويشعر من شدة وجده أنه فى حبه قوى العزيمة كما يقول:

دينى الحنيـف وربى الله ... وشهادتى أن ليس إلا هو

لا جاه لى إلا بطـاعتـه ... ولنعم عقبى الطاعة الجاه

أنا خاشع لجـلال قـدرته ... متقلب الجنيـن أواه

زهت القلوب بنور حكمته ... وتعطرت بالذكر أفـواه

أنا أمة وحدى على سرف ... فى حبة والناس أشبـاه

إن تاه غيرى بالزمان فلى ... قلب بذكر الله تيـاه

وخلال فترة النفى لم ينس البارودى أصحابه من ذوى الأدب والمعرفة فى مصر وغيرها فظل يوافيهم برسائله كما كتب إليه الأدباء والعلماء من العديد من البلدان العربية يواسونه فى محنته ومن هؤلاء "الأمير شكيب أرسلان " الذى كان لا يقطع عنه الرسائل خلال مدة منفاه كما تبادل معه "الشيخ محمد عبده" الرسائل فكان يكتب إليه من منفاه فى بيروت وظل حبل الود متصلا بينهما.

ويمتد النفى والاغتراب بالبارودى حتى يبلغ الستين من عمره فيبلغ به اليأس مداه، ويحيط بها من كل جانب، وتطفأ شموع الآمال كلها فى قلبه وفى عينيه ، فتصبح الحياة عنده سواء نعيمها وشقاؤها، ويلفظ مآربه منها بعد أن تمنعت عليه، ثم يرمى عبء ذلك كله على ظالمه ، فيقول:

أبعد ستيـــن لـــى حـــاج فأطلبـــها؟ هيهات ! ما لا مرئ بعد الصبا حاج

لا أحفل الطيـــر إن غنت وإن نعبت سيان عندى صفار وشحاج [١]

يستعظمـــون من الحجـــاج صـــولته وكل قوم بهم للظلم حجـــــــاج

ومع الستين تهاجم البارودى فى شيخوخته العلة والمرض، وتسوء صحته ويعود الارتشاح إلى قرنيته بقوة ، ويهدد عينيه بالظلام الأبدى. فيفزع البارودى ، ويصيبه الهلع من أن يعيش رهين المحبسين، ويضاعف له الهلع العذاب حتى ليتمنى الموت خلاصا منه، وبعد الكشف الطبى عليه كتب مفتش عام الصحة بسيلان تقريرا ذكر فيه ان البارودى يعانى من جلوكوما Glucoma فى عينيه أزمنت معه، وكادت تفقده عينه اليمنى، كما أن عينه اليسرى لا تقوى على عد أصابع اليد، وان هذا المرض ليس له

---

(١) الصفار : الكثير الصفير وهو للطيور . والشحاج : الغراب الكثير النحاب.

علاج وسينتهي بالعمى لتمزق القرنية، وانه يعانى من اكتئاب نفسى شديد نتيجة مرضه والوحدة التى يعانى منها، ولذلك أثره السئ على حالته واقترح ان تسمح له الحكومة المصرية بالعودة إلى وطنه لظروفه الصحية.

وحول ذلك كتب البارودى شعرا يقول فيه:

متى ينقضى عمر الحياة فتنقضى   مآرب كانت علة للمظالم ؟

وقد أرسل حاكم سيلان نتيجة الكشف الطبى إلى الحكومة البريطانية فى لندن التى أرسلت بدورها إلى اللورد كرومر فى مصر تطالبه باتخاذ اللازم بعد أن قرر الأطباء بسيلان بعد اشتداد وطأة المرض على البارودى وضرورة عودته إلى وطنه لمعالجته فى المناخ الذى ولد وشب فيه ، وأشاروا إلى أنه سيصاب بالعمى لا محالة إن ظل بالجزيرة، وقد وافق الخديوى عباس الثانى على عودته إلى مصر وإعادة ممتلكاته إليه، وذلك طبقا لأمر الخديوى ونصه " بناء على الطلب المرفوع لنا من محمود سامى بالتماس الإحسان عليه بالتمتع بالحقوق الوطنية، فقد اقتضت مكارمنا منح المومى إليه التمتع بالحقوق الوطنية وعلى ذلك فيجوز له من الآن امتلاك أى ملك من أى نوع كان فى الأقطار المصرية بطريق الإرث أو الهبة أو البيع بأى طريقة كانت الذى كان محروما منه".

وبعد عودة البارودى إلى وطنه تواكب عشاق الأدب وأهل الفكر ، والعديد من الأهالى إلى داره "وكلهم لهفة وشوق إلى شعره فغنى لهم البارودى " انشودة العودة قائلا:

أبابل رأى العين أم هذه مصر   فإنى أرى فيها عيونا هى السحر

ويمضى البارودى يتغزل فى مصر فيقول فيها:

رضيت من الدنيا بحبك عالما   بأن جنونى فى هواك هو الفخر

وتستقبل الصحف الوطنية البارودى بمقالات حافلة فيكتب على يوسف "محرر المؤيد": عاد محمود سامى (باشا) البارودى إلى القاهرة عائدا من منفاه ، والله أعلم بمقدار ما خامر قلوب أهله وأصدقائه من الفرح، بل وما خامر قلبه وامتزج بكل حواسه منه عندما وطئت أقدامه تراب النيل بعد أن بلغ به اليأس منتهاه. وقصدت داره ولم أكن قد رأيته من قبل، فإذا هو رجل ربعة يميل إلى الطول قليلا نحيف الجسم كأنما هو ناقه من مرض طويل، كث اللحية، أبيض العارضين ، مختلط شعر الرأس مع صلع خفيف، وقد وضع على عينيه نظارة سوداء تلطيفا لأشعة الضياء.. وسألته عن رفاقه فى جزيرة سيلان وهم عرابى ويعقوب سامى وعلى فهمى فقال: إن صحتهم جميعا سيئة ، وتتدهور يوما بعد يوم ، فعسى الله أن يفك الكرب عنهم، ويشملهم بعطفه فيعودوا إلى الديار".

وقد فتح البارودى بيته كمنتدى للشعراء والأدباء يأنسون إليه ويأنس إليهم يستمتعون بحديثه ، ويستمع إلى آرائهم ومناقشاتهم وكان من هؤلاء إسماعيل صبرى وأحمد شوقى وخليل مطران وحفنى ناصف وحافظ ابراهيم ومحمد ابراهيم هلال وحامد خلوصى وحسن حمدى، وعبد المحسن الكاظمى، ومصطفى صادق الرافعى وحافظ ابراهيم من الشعراء. والشيخ محمد عبده ورشيد رضا من العلماء وغيرهم من أهل الفكر وعشاق الأدب، وكان هؤلاء ينهلون من شعر البارودى ، كما قام حافظ ابراهيم بإنشاد قصيدة للإشادة بالبارودى ومواقفه الوطنية فقال:

أمير القوافى إن لى مستهامـــة	بمدح ومن لى فيك أن أبلغ المدى
أتيت ولى نفس أطلت جـــدالها	سيقضى عليها كربها اليوم أو غدا
فإن لم تداركها بفضل فقد أتت	تـــودع مولاهـــا وتستقبـــل الردى

وفى عام ١٩٠٤ اشتد المرض بالبارودى واستعصى على الطب الشفاء، وفى صحوة الموت وعلى فراش المرض الأخير ودع البارودى الحياة بقوله:

أنا مصـــدر الكلم النوادى	بيـــن الحـــواضر والبوادى
أنا فـــارس ، أنـــا شاعـــر	فى كل ملحـــمة ، ونـــادى
فـــإذا ركبـــت فإننـــــــى	زيد الفوارس فى الجـــلاد[1]
وإذا نطـــقت فإننــــــــــى	قس بن ساعدة الإيـــادى [2]
هـــذا ، وذلك ديدنــــــــى	فى كل معضلة نـــــــاد [3]

وفى ظهر الاثنين الثانى عشر من ديسمبر ١٩٠٤ أسلم البارودى روحه إلى خالقها فلبى داعى ربه تاركا لمصر وللعالم العربى هذا التراث الشعرى الذى لا يبلى ولا يعدو عليه الموت ولا يجنى عليه النسيان، وتهتز أركان مصر لهذه الفجيعة وأخفق قلبها ، ونعته الصحافة ونعاه أهل الأدب وأنتهت دنيا فارس السيف والقلم.

(١) زيد الفوارس : هو ابن حصين بن ضرار الضبى ، فارس جاهلى مشهور يضرب به المثل فى الشجاعة.
(٢) قس بن ساعدة الإيادى : من أشهر خطباء العرب فى الجاهلية.
(٣) النآد : الداهية.

خاتمـــــــة

وهكذا كان البارودى رائدا من أكبر رواد النهضة الأدبية فى مصر له شخصيتان مختلفتان شخصية أدبية وأخرى سياسية. وبالنسبة لشخصيته الأدبية فهى خالدة إذ هو أمام الشعراء المحدثين، وأول من نهض بالشعر الحديث، وبعثه من مرقده، ورد إليه الحياة وحسب ديوانه آية لمجده وتراث للأجيال من بعده، فكل قصيدة فى ديوانه صورة لحالة نفسية من حالات هذا الشاعر الملهم والديوان فى مجموعه صورة للعصر الذى عاش فيه، وللبيئة التى أحاطت به ، وللنهضة المتوثبة فى الحياة من حوله ، وللثورة التى تمخضت عنها تلك النهضة، وللنكسة التى تعرضت لها الثورة والتى نقلت البارودى من وطنه مصر إلى منفاه بسيلان ليقيم به سبعة عشر عاما وعدة شهور يستأثر الشعر بها جميعا وخلال ذلك استطاع البارودى ان ينطلق بالعبارة الشعرية من طريق الضعف والركاكة إلى طريق القوة والمتانة وارتفع بها بلا تدرج أو تمهيد وكانه القمة الشاهقة، فكان رائدا للبعث والأحياء بلا منازع.

وأما عن شخصيته السياسية فقد كان رجل دولة بين العرابيين عمل وزيرا للأوقاف ثم وزيرا للحربية فى وزارة شريف باشا ، كما تولى رئاسة الوزراء وخلال ذلك ظل مساندا لعرابى خلال تفاقم الخلاف بينه وبين الخديو والانجليز وحتى انتهاء الثورة ومحاكمته ومع ذلك

فإن دوره فى السياسة المصرية قد تعرض للأهمال على الرغم من أنه يستحق عن جداره البحث والتقصى، وأصبح من الضرورى إعادة النظر فى إبداعه الشعرى ومواقفه السياسية حتى تتبين حقائق الأمور، فعصر البارودى شهد محاولات جادة للبحث عن الهوية المصرية، وإنقاذها من مخالب الدولة العثمانية، والقوى الأوروبية التى تريد الاستيلاء على مصر، كما شهد محاولات العرابيين الجادة لوقف التدخل الأجنبى، ومساعى الإصلاح السياسى لإنقاذ الوطن من الرجعية والتخلف، وتشكيل الوعى الحقيقى للإنسان المصرى، ومن هنا كان هناك ضرورة لإرساء الضوء على هذه الشخصية للكشف عن ملامح صاحبها وتضحياته من أجل الارتقاء بوطنه مصر.

وبالنسبة لفترة نفيه بسيلان فقد تحمل البارودى آلام الاضطهاد ومرارته بشجاعة وصبر وعزة نفس ، وأسبغ عليه النفى والحرمان شارة التضحية والبطولة والأباء والشمم وظل البارودى فى منفاه صابرا تحمل حياته بين طياتها البؤس والحرمان والضياع حيث أحيط بظروف نفسية ومادية صعبة انعكست على تصرفاته وعلاقاته مع زملائه ولم تنقطع شكواه حتى هاجمته علة المرض فعاد إلى مصر بين أهله وأحبابه وفتح بيته كمنتدى للفكر والشعر والشعراء حتى لاقى ربه فى ديسمبر ١٩٠٤.

بيان حالة علمية ووظيفية

الاسم: أ.د/ عبد المنعم ابراهيم الجميعى

الوظيفة: استاذ متفرغ بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الفيوم.

١-المؤهلات العلمية:

- ليسانس آداب من كلية الآداب جامعة القاهرة دور يونيو ١٩٦٧.
- درجة الماجستير فى الآداب من كلية الآداب جامعة القاهرة بتقدير ممتاز بتاريخ ٢/١٠/١٩٦٧.
- درجة الدكتوراه فى الآداب (تاريخ حديث) من كلية الآداب جامعة عين شمس بتقدير مرتبة الشرف الأولى بتاريخ ٢٥/١/١٩٧٩.

٢-الوظائف التى شغلها وأبرز إنجازاته العلمية:

- رئاسة قسم التاريخ بكلية التربية.
- وكالة كلية التربية للتعليم والطلاب.
- يتولى حاليا منصب الأمين العام للجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
- عضو اتحاد المؤرخين العرب.
- عضو اتحاد الأثريين العرب.
- يحمل العضوية الشرفية لجمعية المؤرخين المغاربة وقد شارك فى العديد من المؤتمرات العلمية والدولية مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلس الأعلى للثقافة ومكتبة الاسكندرية وغيرها.
- سافر إلى الولايات المتحدة كأستاذ زائر فى الفترة من ١٩٨٢- ١٩٨٣.
- أعير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى الفترة من ١٩٨٦ إلى ١٩٩١ وساهم خلال ذلك فى أنشطتها حيث قام بتأليف ثلاثة كتب

عن منطقة أبها بجنوب المملكة السعودية التى كان فرع الجامعة يقع فى نطاقها.

- عمل مقررا للجان امتحانات ليسانس التاريخ على مستوى كليات التربية بالجامعات المصرية لمدة خمس سنوات.
- شغل عضوية اللجنة العلمية الدائمة للترقيات على مستوى الأساتذة (تاريخ) لمدة ثلاث سنوات (٢٠٠١- ٢٠٠٤).
- شغل عضوية اللجنة العلمية للوثائق لمدة ثلاث سنوات (٢٠٠١- ٢٠٠٤).
- يشغل حاليا عضوية لجنة التاريخ بالمجلس الأعلى للثقافة كممثل للجمعية التاريخية بالمجلس.
- عضو اللجنة العلمية لتوثيق تاريخ مصر والقضية الفلسطينية بالمجلس الأعلى للثقافة.
- له بحوث منشورة بالإنجليزية والفرنسية وقد ترجمت العلاقات الخارجية بوزارة الثقافة كتابة "دور الحضارة العربية الإسلامية فى النهضة الأدبية كنموذج لحوار الحضارات" إلى الإنجليزية والفرنسية.
- له كتابات فى الصحف، ولقاءات تليفزيونية.
- حصل على جائزة مبارك العالمية لأحسن البحوث التى قدمت لاتحاد الكتاب الأفريقين والآسيويين عام (٢٠٠٥- ٢٠٠٦).
- حقق مذكرات الزعيم أحمد عرابى التى تزيد على الألف صفحة.
- له كتابات مبتكرة عن تاريخ الجامعات المصرية آخرها مائة عام على إنشاء أول جامعة فى مصر، كما أن له العديد من الكتابات عن التعليم العالى فى القرن التاسع عشر.

- يضاف إلى ذلك ان له ما يزيد عن الخمسين كتابا فى تاريخ مصر الحديث والعالم العربى ترجم بعضها إلى لغات أجنبية وفيما يلى أسماء هذه المؤلفات:

٣-من أبرز مؤلفاته:

- ❖ تاريخ مصر الحديث فى الجامعات الأمريكية والمصرية منذ نشأتها وحتى عام ١٩٨٤.
- ❖ مصر فى التاريخ الحديث والمعاصر (١٧٩٨-١٩٧٣).
- ❖ عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية.
- ❖ الخديوى عباس الثانى والحزب الوطنى.
- ❖ الجامعة المصرية القديمة نشأتها ودورها فى المجتمع (١٩٠٨-١٩٢٥م)
- ❖ طه حسين والجامعة المصرية.
- ❖ الجامعة المصرية والمجتمع (١٩٠٨- ١٩٤٠).
- ❖ الثورة العرابية فى ضوء الوثائق المصرية.
- ❖ الثورة العرابية بحوث ودراسات وثائقية.
- ❖ مجمع اللغة العربية دراسة تاريخية.
- ❖ مدرسة القضاء الشرعى (١٩٠٧- ١٩٣٠).
- ❖ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (١٩٤٥-١٩٨٥)
- ❖ تاريخ مدرسة المعلمين العليا (١٨٨٠-١٩٣٣).
- ❖ الجذور التاريخية لفكرة الجمهورية فى مصر.
- ❖ الجيش المصرى وفتح عكا (١٨٣١- ١٨٣٢).

- ثورات الدروز والموازنة ضد حكم محمد على فى بلاد الشام (١٨٣٥-١٨٤٠).
- العالم العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر.
- الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨.
- منهج البحث التاريخى (بحوث ودراسات).
- العالم الأوروبى فى التاريخ الحديث والمعاصر.
- معركة نصيبين (١٨٣٩).
- اتجاهات الكتابة التاريخية فى مصر فى القرنين ١٩، ٢٠.
- ارتباط عسير الدعوة الإصلاحية منذ الدولة السعودية الأولى.
- الأدارسة فى الخلاف السليمانى وعسير.
- عسير خلال قرنين (١٨٠٠- ١٩٨٨).
- الاعتداء على الحرمين الشريفين عبر التاريخ (بالاشتراك).
- المدخل إلى علم التاريخ (بالاشتراك).
- مقدمة تحليلية لتراث النديم (التنكيت والتبكيت- الأستاذ- كان ويكون- المسامير).
- دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى فى العصر الحديث.
- دراسات فى تاريخ مصر السياسى فى العصر الحديث.
- ملفات خدمة وربط معاش زعماء مصر السياسيين.
- تاريخ السينما المصرية.
- الحزب الوطنى بين زعامتين (مصطفى كامل ومحمد فريد).
- مدرسة الحقوق الخديوية وتكوين الزعامات المصرية (١٨٦٨-١٩٢٥).

- مدرسة الألسن وتطور حركة الترجمة والتعريب فى مصر (١٨٣٥/١٩٧٣).
- العالم الأوروبى فى التاريخ الحديث والمعاصر منذ عصر النهضة إلى نهاية القرن العشرين.
- مذكرات الزعيم أحمد عرابى (٣ أجزاء).
- صفحة عشق لزعيم وطنى (مصطفى كامل).
- من قضايا العنف السياسى فى مصر.
- عصر محمد على باشا الكبير.
- المشرق والمغرب دراسات فى تاريخ العالم العربى الحديث والمعاصر.
- محاكمة سليمان الحلبى نموذج لعدالة الفرنسيس فى مصر.
- العثمانيون بين أوروبا والعرب ومحمد على.
- خفايا العلاقات المصرية والسعودية فى عهد الملكية المصرية.
- الملك فهد بن عبد العزيز وانجازاته الداخلية والخارجية.
- دور الحضارة العربية الاسلامية فى النهضة الأوروبية كنموذج لحوار الحضارات.
- وثائق ونصوص فى: تاريخ الدولة العثمانية- تاريخ مصر العثمانية.
- تاريخ مصر فى العصر العثمانى.
- تطور الموسيقى والطرب فى مصر الحديثة.
- المجتمع المصرى بين الثابت والمتغير.
- تاريخ الجامعات المصرية- دراسة فى الوثائق.
- مدارس عليا ساهمت فى إنشاء الجامعات المصرية.

- البعثات العلمية المصرية إلى أوروبا – دراسة فى الوثائق.
- صفحات من تاريخ المرأة المصرية.
- الجامعة المصرية القديمة ١٩٠٨/ ١٩٢٥.
- لجنة ملنر والعمل من أجل استقلال مصر.
- مفاوضات النحاس / هندرسون فى ضوء الوثائق.
- عباس الثانى خديوى مصر الأخير (صفحة هامة من تاريخ مصر).
- وثائق معاهدة ١٩٣٦.
- عباس الثانى خديوى مصر الأخير.
- طه حسين مسيرة حياة وقضية كفاح.
- محمود سامى البارودى رب السيف والقلم.
- شاعر النيل حافظ ابراهيم.
- أمير الشعراء أحمد شوقى.

أهم مصادر الدراسة

أولا: وثائق غير منشورة:

دار الوثائق القومية:

- أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية، والبرقيات التى ضبطت لدى المتهمين.
- تقارير وشهادات مقدمة إلى لجنة التحقيق عن معلوماتهم فى حوادث الثورة العرابية.
- محافظ الثورة العرابية.
- مجموعة برودلى.
- A.M. Broadley : The Trial Exile and Pardon of Arabi Pacha ١٨٨٢- ١٩٠٢.

ثانيا: المصادر والمراجع العربية:

- أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن القاهرة ١٩٩٤.
- احمد عرابى : مذكرات الزعيم احمد عرابى – كشف الستار عن سر الأسرار ٣ أجزاء – تحقيق ودراسة د. عبد المنعم الجميعى، القاهرة– دار الكتب المصرية ٢٠٠٥.
- ديوان البارودى ، القاهرة ١٩٤٠.
- عباس العقاد.: شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى، القاهرة، ١٩٧٥.
- عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، القاهرة ١٩٤٩.

- عبد المنعم الجميعى:
  - الثورة العرابية بحوث ودراسات تاريخية، القاهرة، ١٩٨٠.
  - عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية، القاهرة، ١٩٨٠.
- على الحديدى : محمود سامى البارودى ، القاهرة، ١٩٦٩.
- فايز على : محمود سامى البارودى شاعر الرومانسية ، القاهرة، ٢٠٠٨.
- لطيفة سالم: عرابى ورفاقه فى جنة آدم، القاهرة، ١٩٨٦.
- محمد حسين هيكل: الأدب والحياة المصرية، القاهرة، ١٩٩٢.
- محمود الخفيف : احمد عرابى الزعيم المفترى عليه، القاهرة، ١٩٤٧.

ثالثا: المصادر والمراجع الأجنبية:

١- Blunt : Secret History of the English occupation of Egypt, London , ١٩٠٧.

٢- Broadley : How we Defended Arabi and his friends.

- Ninet , Arabi pacha , Egypt ١٨٨٠- ١٨٨٣ , Paris ,



مطابع الهيئة العامة للاستعلامات